الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية
تخصص: التفسير بين القديم والحديث

مذكرة ماجستير بعنوان

تفسير محمد الخِضْر حُسَين لآيِ القُرْآنِ وملامِحُ الإصلاحِ فيه

إعداد الطالب:

بن ديمية جيلالي

إشراف الأستاذ الدكتور :

سيب خير الدين

اللجنة المناقشة:

د: خليفي الشيـــــــخ	جامعة تلمســـــان	رئيـســـــا
أ.د : سيب خير الديـــــن	جامعة تلمســـــان	مشـرفا مقررا
د :عبد الحكيم والي داده	جامعة تلمســـــان	عضوا مناقشـا
د: بلخير عثمـــــــان	جامعة تلمســـــان	عضوا مناقشـا

السنة الجامعية: 1434هـ- 1435هـ الموافق لـ 2013م- 2014م

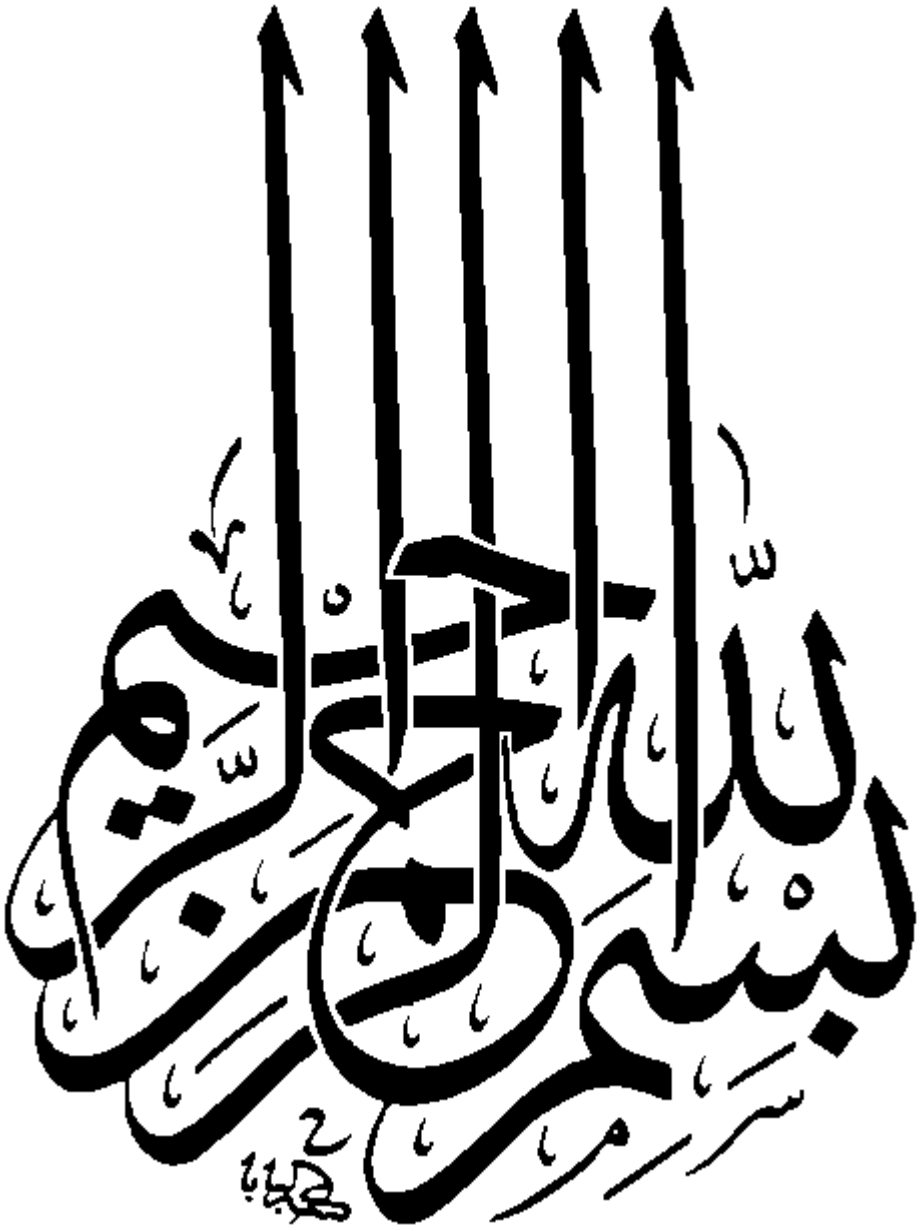
بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــكر وتقدير

أحمد الله جلَّ وعلا الذي يسر أسباب هذا البحث وأشكره أن سهل إخراجه فهو أهل للحمد والشكر ، سبحانه لا أحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه .

وأصلي وأسلم على رسول الله ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج المنير ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم أتقدم بخالص شكري وامتناني لفضيلة الأستاذ الدكتور : سيب خير الدين الذي علمنا حب العلم والتفاني في طلبه ، ثم غمرني بفضله فتكرم بالإشراف على موضوع هذه المذكرة ، فكان نعم المشرف وقد استفدت كثيرا من تصويباته وتصحيحاته وإرشاداته فله مني كل شكر وكل تقدير.

كما أتقدم بالشكر للسادة الأساتذة أعضاءِ لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول قراءة وتقييم هذا البحث ، رغم مشاغلهم وأعبائهم الكثيرة .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين .

إهداء

إلى اللَّذَيْنِ أوصى الله بهما: والِدَيَّ الكريمين : أبي رحمه الله

وأمي حفظها الله ومتعها بالصحة والعافية.

إلى جميع إخواني وأخواتي وقرابتي .

إلى كل من عرفته أو درست معه .

إلى كل من علَّمني حرفا منذ وَعَيت إلى اليوم .

أُهْدي هذا العمل المتواضع سائلا الله عز وجل القبول

وملتمسا منه التوفيق .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل الله ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله.

أمّا بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

يعتبر تفسير القرآن الكريم من أجَلِّ العلوم وأشرفِها لأنه يتعلق بأعظم كتاب أنزل ، فقد كان رسول الله ﷺ هو المبينَ له المفسرَ لما غمض منه الشارحَ له بقوله وفعله : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [**النحل**: 44]، ثم ترك أمر بيانه للعلماء المسلمين الذين توفرت لهم وسائل بيانه ، وآلات فهمه فكانوا بين معتمد على الأثر أو متوسع في الرأي أو جامع بينهما وكانت أنماط التفسير كثيرا ما تخضع لمشرب المفسر فقد يغلب على التفسير أسلوب المحدِّثين أو المتكلِّمين أو الفقهاء الأصوليين أو النحاة واللغويين أو القرّاء ، أو أرباب السلوك والإشارات ، أو اتجاه الإصلاح الذي ظهر بالمشرق العربي وألقى بظلاله على المغرب العربي .

وقد كان للمغاربة (علماءِ المغرب العربي) حضورُهم البارز والمشرف في مختلف فنون العلم والمعرفة على امتداد العصور ، وكان لهم نصيبهم من هذا العِلْم الجليل – علمِ التفسير– فقد أسهموا فيه اِسهامات لا تنسى ولا تجحد ؛ وقد أفرز العصر الحديث علماء بارزين أثْروا المكتبة الإسلامية بتفاسيرهم ، بل كانت لهم نظراتهم المشكورة والجديدة لآي القرآن الكريم ، فمنهم من أتم تفسير القرآن كله ، ومنهم من اقتصر على بعضه .

وبحكم أن العالم الإسلامي –في العصر الحديث– عانى من ويلات الإستعمار الذي صحبته حركة التنصير كما شهد أحداثا كثيرة أثّرت على جميع الميادين (الدينية– السياسية – الإجتماعية – الثقافية) مما جعل علماء الإسلام يبحثون عن حلول لمشاكل العصر الذي أثار عدة تساؤلات وشبه تستدعي الإجابة عليها.

وإذا كان كتاب الله عز وجل هو الملاذَ الذي يلجأ إليه المتحير وهو الكتاب الذي ختم الله به الكتب فيه أنباء الأولين وأخبار الآخرين وحكم ما يعرض للأمة في كل عصر ؛ فإن مسؤولية العلماء كبيرة جدا ، ذلك أن الواقع احتاج إلى علماء ومفسرين قد جمعوا بين ثقافة الماضي والحاضر وفهموا لغة الشرع ومتطلبات الواقع.

ومن أبرز العلماء الذين مَنَّ الله بهم على أهل العصر الحديث : الشيخ محمد الخضر حسين ذو الأصول الجزائرية ، التونسي المولد والنشأة شيخ الأزهر الذي طوَّف بالمشرق والمغرب وجزء كبير من أوروبا ؛ جمع بين ثقافة الأقدمين وثقافة عصره ووازن بين الإصلاحيين والمحافظين في زمانه ، فأسهم في هذا العلم (علم التفسير) بجهد مشكور وكان له بصماته البارزة والواضحة وهو وإن لم يأت على تفسير القرآن الكريم كله فإنه فسر جانبا لا بأس به من كتاب الله وقد استغل ظهور الصحافة ، وظهور بعض وسائل الإعلام كالمذياع فجعل منها وسائل لإيصال تفسير كتاب الله إلى جمع كبير من المسلمين.

أهمية الموضوع : تكمن **أهمية الموضوع في** : عرض ما يستدعيه العصر ، من الإجابات على ما يثار من الشبهات في الميادين العقدية والسياسية والاجتماعية ، والردود المقنعة التي تعتمد في أكثرها على كتاب الله وأقوال المفسرين ورأيه الذي يراه في الإجابة عن ذلك .

كما أنه يزيل الغبش الذي علق ببعض العقول والأقلام التي تستوطن البلاد الإسلامية وتُحسب على مجموع المسلمين لكنها تسهم في الكيد للإسلام إمّا عن خبث نية أو فهم غير سليم للإسلام .

إشكالية البحث :

لقد جاءت هذه الدراسة التي قمت بها تهدف إلى الإجابة على الإشكالية التالية :

كيف تعامل محمد الخضر حسين مع آي القرآن الكريم ؟ وهل استطاع أن يضيف إلى التفسير معان جديدة ؟

كيف وظف محمد الخضر حسين القرآن وتفسيره في إيجاد حلول لمشاكل زمانه ؟.

أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفعتني للكتابة في هذا الموضوع أسباب عدة ، منها ما هو موضوعي ، ومنها ما هو ذاتي

- طبيعة تفسيره الذي يتناسب مع الثقافة السائدة .
- معرفة ما كتبه المعاصرون في التفسير .
- الأسلوب الذي امتاز به في تفسيره لكتاب الله ﷻ .
- تميُّز مدرسة المغاربة في التفسير .

أهداف الموضوع :

أسعى من وراء هذه الدراسة إلى :

- بيان ما أضافه محمد الخضر حسين للتفسير.

- الحلول التي يطرحها الشيخ إنطلاقا من التفسير .

- تفسير القرآن وسيلة الدعاة في الإصلاح .

أما عن : **الدراسات السابقة** : فإني لم أعثر-في حدود ما اطلعت عليه – على الدراسات التي تناولت تفسير محمد الخضر حسين وكل ما في الأمر أنني وجدت دراسة للدكتور محمد مواعدة بعنوان: ((محمد الخضر حسين)) حياته وآثاره ، وهو بحث تقدم به لنيل درجة : شهادة الكفاءة في البحث عرض في قسمه الأول إلى حياة محمد الخضر حسين وفي قسمه الثاني إلى آثاره وقد كان معرّفا في هذه الدراسة بمعظم آثار محمد الخضر حسين . لكنه لم يتعرض إلى آثار الشيخ في التفسير ولعل السبب يرجع إلى عدم توفرها بين يدية بحكم أن هذه الدراسة كانت سنة 1976 م بينما بعض الآثار جمعت مؤخرا جمعها ابن أخ الشيخ محمد الخضر حسين – المحامي: علي الرضا الحسيني – في مجموعة واحدة هي الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين في 15 مجلدا كان أولها كتاب :

(أسرار التنزيل) وثانيها كتاب: (بلاغة القرآن) وقد جمعا معظم تراث الشيخ في التفسير.

أما الدراسة التي اطلعت عليها فهي : محاضرة للأستاذ أنور بن خليفة ألقاها بتونس بمناسبة ملتقى أقيم حول حياة الشيخ محمد الخضر حسين .

حيث عرض الأستاذ في محاضرته إلى موضوع : محمد الخضر حسين مفسرا ، تناول فيه المصادر التي اعتمدها الشيخ في تفسيره كما أشار باختصار إلى منهج الشيخ في التفسير .

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة عدم وجود دراسة في هذا الموضوع أستنير بها أو أبني عليها أو أنطلق منها للزيادة عليها .

أمّا عن **المنهج المتبع في الدراسة** فإني اعتمدت **المنهج الوصفي التحليلي** فهو يتناسب مع الموضوع حيث إن البحث يقتضي الكلام عن تفسير الشيخ والمواضع التي فسرها والأسلوب والمنهج الذي اتبعه وكذا الجوانب التي وظف فيها تفسير القرآن الكريم وهذا كله يستعان على إبرازه بالمنهج الوصفي التحليلي .

وقد استعنت **بأداة الاستقراء** في تتبع أقواله التي أوردها في تفسيره لآي القرآن الكريم .

وكانت الخطة المتبعة في الدراسة كما يلي :

قسمت الموضوع إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول .

كان المدخل حول : ترجمة محمد الخضر حسين . قسمته إلى مبحثين : المبحث الأول عرضت فيه النشأة الإجتماعية والعلمية وهو بدوره قسمته إلى مطلبين : مطلب حول المولد : زمانا ومكانا أما المطلب الثاني فكان عن الحياة العلمية .

أما المبحث الثاني من المدخل فكان عن أسفاره والمناصب العلمية وهو بدوره قسم إلى مطلبين:

المطلب الأول : عن تولي محمد الخضر مشيخة الأزهر والمطلب الثاني عن تلامذته وشهادة العلماء له .

ثم دخلت إلى الموضوع بثلاثة فصول :

الفصل الأول وكان بعنوان : جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح والتفسير، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث : وهي على الترتيب : جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح ، قسمته إلى ثلاثة

مطالب : (مفهوم الإصلاح وعصر محمد الخضر حسين ، الإصلاح في العصر الحديث ، موقع محمد الخضر حسين من التيارات التي كانت في زمانه) .

كذلك **المبحث الثاني** الذي كان بعنوان : **مجالات الإصلاح** : حيث تعرضت فيه إلى بعض المجالات التي تعهدها محمد الخضر بالإصلاح واقتصرت على مجالين كان كل مجال منهما عنوانا لمطلب من مطالب هذا المبحث وهما على الترتيب : التربية والتعليم – التصوف والسلوك .

ثم انتقلت إلى المبحث الثالث والذي كان بعنوان : جهود محمد الخضر حسين في التفسير.

وهو بدوره قسم إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول وكان عن بعضاتجاهات التفسير في العصر الحديث والتي عاصرها رحمه الله .

المطلب الثاني : وقد فصلت فيه إنتاج محمد الخضر حسين وأسانيده في التفسير ، المطلب الثالث: وكان عن منابر محمد الخضر حسين في التفسير وأعني بذلك المجالس التي كان يلقي فيها تفسيره أو يكتب فيها أو إليها.

وأما الفصل الثاني فكان عن منهج محمد الخضر حسين قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث أولها مصادره في التفسير عرضت فيه للمصادر التي اعتمدها محمد الخضر في تفسيره وكانت على أنواع حيث وزعت هذه الأنواع على المطالب :

المطلب الأول مصادره في التفسير وعلوم القرآن ، والمطلب الثاني : مصادره في الحديث وعلومه ثم المطلب الثالث مصادره في اللغة.

ثاني المباحث كان عن إعمال الشيخ للتفسير بالمأثور وقسمته كسابقه إلى ثلاثة مطالب : تفسير القرآن بالقرآن ، تفسير القرآن بالسنة ، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين والموقف من الإسرائيليات .

المبحث الثالث: كان بعنوان التفسير بالرأي . وقسمته إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مظهر استعمال اللغة وأساليبها.

المطلب الثاني : المزج بين المباحث اللغوية والبلاغية في المقام الواحد .

المطلب الثالث : مظهر الترجيح بإعمال الرأي والعقل في تفسير محمد الخضر حسين .

أما الفصل الثالث: –وقد كان آخر الفصول – فقد كان عن ملامح الإصلاح في تفسير محمد الخضر حسين وكان أشبه بالدراسة التطبيقية وقد وزعته على ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : ملامح الإصلاح في العقيدة والسلوك ، وزعته أيضا على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول عن مفهوم العقيدة وأهميتها في إصلاح المجتمع ، **أما المطلب الثاني** ، فكان عن الإلهيات ، **والمطلب الثالث** : فكان عن النبوات .

في المبحث الثاني: تكلمت عن ملمح الإصلاح في السياسة والحكم في تفسير محمد الخضر حسين وقسمته إلى ثلاثة مطالب أولها : مطلب عن مفهوم السياسة وحقيقتها. المطلب الثاني كان عن الشورى وأما المطلب الثالث فكان عن دعوى فصل الدين عن السياسة .

المبحث الثالث من هذا الفصل كان عن النظام الاجتماعي اقتصرت فيه على مطلبين:

–مطلب الدعوة إلى الله ومطلب الحدود الشرعية ثم أنهيت هذه المذكرة بخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها من وراء هذه الدراسة .

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر الله عز وجل على ما أنعم علي من نعمة الإتمام ، وأشكره كذلك أخرى إذ هيأ لي مشرفا شرفه الله بعلمه وبفضله وهو الأستاذ الدكتور :"خير الدين سيب "فقد فاض علي من إحسانه وأكرمني بإشرافه وغمرني بنصحه وإرشاده وتصويباته ، كما أشكر له نصائحه وإرشاداته القيمة التي صاحبتني طيلة فترة البحث فأنا أقف عاجزا عن رد جميله فله مني كل

شكر وكل تقدير؛ وأسأل الله ﷻ أن يجازيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك في عمره وأعماله ، ويحفظه من كل سوء .

كما أشكر أساتذتي أصحاب الفضيلة العلماء :

رئيسَ لجنة المناقشة وأعضاءَها الذين تجشموا عَناء قراءة هذه المذكرة وتقييمها وتقويمها وأسأل الله لهم التوفيق والسداد ، وأشكر أساتذتي في شعبة العلوم الإسلامية الذين سهروا علينا طيلة المرحلة النظرية فلهم مني وافر التقدير وكبير الاحترام وشكرنا الكبير للقائمين على جامعة تلمسان هذه الجامعة التي احتضنتنا بين جدرانها ، ولا أنسى شكر أهل الفضل ممن أعان بكتاب أو معلومة أو نصيحة أو دعاء .

وختاما فإن هذا جهد المقل ولا أدعي أني بلغت الكمال ، ذلك أن الكمال لذي العزة والجلال وحسبي أني اجتهدت فما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من تقصير فمني .

واللهُ من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- بن ديمية جيلالي

مشرية في : 20 ذو الحجة 1434هـ.

الموافق ل :25 أكتوبر 2013م .

مدخل

❖ ترجمة محمد الخضر حسين

- المبحث الأول: الأصل و النشأة الاجتماعية والعلمية
- المبحث الثاني : أسفاره والمناصب العلمية

المبحث الأول: الأصل والنشأة الإجتماعية والعلمية.

✓ المطلب الأول : المولد والأصل.

أ- المولد:

هو محمد الخضر- بكسر الخاء وسكون الضاد - بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي:

ولد بمدينة نفطة [1]بتونس وقيل قفصة من مقاطعة الجريد من بلاد تونس — إفريقية قديما[2]- بالجنوب الغربي وهي غير بعيدة عن الحدود الجزائرية. وكان يطلق على مدينة نفطة الكوفة الصغرى[3].

كان مولده في : 26 رجب عام 1293 ه الموافق لـ 1876 م في أسرة عريقة النسب ذات علم وصلاح وتقوى ، يتصل نسبه بالنبي ﷺ ، والده الشيخ الحسين بن علي بن عمر «الطولقي» نسبة إلى« طولقة »من دوائر بسكرة ، وكان مريدا خاصا للشيخ مصطفى بن عزوز؛ وأُمُّ الإمام محمد الخضر هي حليمة السعدية إحدى بنات الشيخ مصطفى بن عزوز ، ورابطة النسب بين عائلة الشيخ الخضر وعائلة ابن عزوز متأصلة.

عائلة محمد الخضر تنتسب إلى الطريق الصوفية ، فأبوه ، وجده للأب ينتسبان إلى الطريقة الرحمانية ، أمّا جده لأمه فهو الشيخ مصطفى بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية .

---

[1]-نفطة بالفتح ثم السكون والطاء ، مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير ، ينظر: ياقوت الحموي - معجم البلدان — لبنان- بيروت — دار صادر - 1397ه/1977 م — ج :5- ص :296 .

[2]- قد كان يطلق اسم :"إفريقية " على منطقة تونس اليوم ، غير أنه لم يلبث أن أطلق على القارة كلها ، ثم أصبح علَما لها . ودخل اصطلاح :" تونس " ضمن مسمى:" بلاد المغرب " . ينظر : محمود شاكر - التاريخ الإسلامي-لبنان- بيروت - المكتب الإسلامي - ط 8 : 1421ه /2000م - ج : 14 — ص : 5 .

[3]- البكري ، أبوعبيد عبد العزيز بن محمد — المسالك والممالك- لبنان — بيروت — دار الغرب الإسلامي — ط:1 — 1992م — ج:2- 743 .

في هذا الجو العائلي المفعم بالصلاح والعلم والتقوى ، ولد محمد الخضر، وقضى طفولته الأولى في زاوية جده الرحمانية ؛ حيث حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم اللغوية والشرعية ، والأمر نفسه كان مع باقي إخوته فكلهم كانوا أهل علم وصلاح منهم شقيقاه الشيخ محمد المكي بن الحسين[1]، والشيخ زين العابدين بن الحسين[2]

ب – أصول محمد الخضر حسين:

إذا كان الشيخ محمد الخضر حسين نفطوي المولد وتونسي المنبت فإنه جزائري الأصل ، فإن أصل أسرته من قرية تسمى طولقة من أعمال"البرج" من صحراء بسكرة.

فعند احتلال هذه الأخيرة من طرف الفرنسيين (1843م-1844م) هاجر مصطفى بن عزوز إلى نفطة في تونس وأسس بها زاوية رحمانية وأصبحت ذات شهرة واسعة في العلم[3] وكان شيوخ نفطة يأتون إلى الجزائر بحكم الأصل من جهة وبحكم الروابط الروحية (الرحمانية) والتعليمية من جهة أخرى، ولذلك وجدنا عددا من شيوخ العائلة العزوزية قد استقروا في الجزائر أو دَرَّسوا

[1]- محمد المكي بن الحسين بن علي بن عمر : شقيق محمد الخضر حسين ، باحث لغوي ، أديب شاعر. ولد ببلدة نفطة ، ثم ارتحل رفقة والده وأسرته إلى تونس العاصمة ، وبها حفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم ، ثم دخل جامع الزيتونة وأخذ عن أعلامه إلى أن تخرج منه محرزا على شهادة التطويع ، وفي سنة : (1330هـ -1912 م) هاجر مع أسرته إلى دمشق حيث باشر التعليم ، تعرف على أعلامها ، كخير الدين الزركلي ، عبد القادر المغربي ، محمد مبارك الجزائري ، ومحمد كرد علي . رجع إلى تونس سنة 1920 م . من مؤلفاته الأسماء اللغوية للبحر، أسماء الكعبة المشرفة .
محمد محفوظ – تراجم المؤلفين التونسيين – لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي– ط :1 -1982 م – ج : 2 – ص: 136 .

[2]- زين العابدين بن الحسين :(1317هـ-1377هـ) (1898م-1957م) شقيق محمد الخضر حسين ولد بتونس بعد انتقال أسرته إليها ، وبها حفظ القرآن ، ثم التحق بجامع الزيتونة من شيوخه محمد الطاهر بن عاشور، تخرج من الزيتونة حاصلا على شهادة التطويع انتقل إلى دمشق فدرس العربية في المدرسة السلطانية ثم التحق بكلية الآداب ونال شهادة الآداب العليا منها ، ثم درّس في مدارس دمشق الرسمية الإبتدائية كان لطيفا فيه دعابة ، آية في الذكاء ، مع صلاح ووقار ، من مؤلفاته : المعجم في النحو والصرف ، المعجم في القرآن .....ينظر: محمد محفوظ – تراجم المؤلفين التونسيين – ج : 2 – ص : 136 .

[3]- سعد الله أبو القاسم – تاريخ الجزائر الثقافي – لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ط1 : 1998م-ج : 4 – ص : 146 .

فيها أو عبروها أو تجوزوا منها في عدة مناسبات ومن أبرزهم الشيخ المكي بن عزوز الذي درس في زاوية الهامل وتنقل بين طولقة وغيرها من المدن والقرى وكذلك فعل ابنه محمد الكامل وقد قام الشيخ محمد الخضر (و هو منهم) بجولات في الجزائر أوائل القرن فنزل عنابة وباتنة والعاصمة[1].

و قد ذكر أبو الحسن الندوي [2] في لقائه مع محمد الخضر حين سؤاله له عن مدة إقامته في مصر فقال : أي محمد الخضر حسين ((لي الآن ثلاثون عاما في مصر وأصْلِي من الجزائر ومولدي تونس))[3].

ذكر هذا أبو الحسن الندوي في وقت رحلته التي قام بها إلى المشرق العربي وزار الكثير من البلاد العربية ومنها مصر والتقى علماءها ومفكريها وأدباءَها وألقى محاضرات ودروسا ودوَّن كل ما جرى في هذه الرحلة ضمن مذكراته .

[1]- سعد الله أبو القاسم –تاريخ الجزائر الثقافي - ج : 4 - ص :247 .

[2]–هو أبو الحسن علي الحسني الندوي ولد في قرية(تكية)من مديرية (رائي بريلي) من الولاية الشمالية بالهند، وذلك في محرم من عام 1332 من أسرة ذات أصل عربي عريق أبوه عبد الحي الحسني أحد كبار مؤلفي عصره تلقى دراسته في العربية على الشيخ خليل محمد يماني وأتم دراسته الأدبية على محمد تقي الدين الهلالي ودرس التفسير على يد الشيخ احمد علي . جال وجاب الكثير من الدول داعيا ومربيا كما اثرى المكتبة الاسلامية بالكثير من مؤلفاته ومقالاته، مثل كتاب:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،رجال الفكر والدعوة في الإسلام،مذكرات سائح في الشرق العربي.....توفي يوم الجمعة 23 رمضان 1420ه الموافق 31 ديسمبر1999م ينظر ترجمته :محمد المجذوب - علماء ومفكرون عرفتهم – مصر – القاهرة - دار الشواف – ط : 4 - ج : 1- ص : 135 ؛ عبد الماجد الغوري - أبوالحسن الندوي الإمام المفكر والداعية الأديب - سورية – دمشق - دار ابن كثير - ط : 2 - 1420ه -1999م - ص : 30 وما بعدها .

القرضاوي ، يوسف - الشيخ ابو الحسن الندوي كما عرفته - سورية- دمشق- دار القلم – ط : 1 - 1422ه - 2001م - ص: 31/ 32 .

[3]- الندوي : أبو الحسن - مذكرات سائح في الشرق العربي- لبنان – بيروت - مؤسسة الرسالة- ط :3 - 1978م - ص :89 .

✓ **المطلب الثاني: الحياة العلمية والهجرة إلى المشرق .**

أ–الالتحاق بالزيتونة: بدأ محمد الخضر حسين حياته في بلدة نفطة وتأثر بأبيه تأثرا شديدا، حفظ القرآن الكريم بجانب أنه تعلم الأدب عن خاله وألمّ بمبادئ العلوم العربية، والشرعية فلما اشتد عوده انتقل مع أسرته إلى العاصمة التونسية في سن الثانية عشرة من عمره سنة 1305هـ –

التحق بجامع الزيتونة سنة 1307هـ الموافق لـ 1889م ويعد الجامع آنذاك من أرقى المعاهد الدينية وأعظمها شأنا في المغرب– فقرأ على الأساتذة والمشايخ وتنقل به في الدراسة من مرحلة إلى مرحلة فظهرت نجابته وبرز نبوغه في العلوم الدينية واللغوية ،طلب لتولي بعض الخطط العلمية قبل إتمام دراسته فأبى وواظب على حضور حلقات الأكابر مثل الشيخ عمر ابن الشيخ[1] والشيخ محمد النجار وكانا يدرّسان التفسير والشيخ سالم بو حاجب وكان يدرّس صحيح البخاري[2].

[1]– عمر بن الشيخ : ولد في بنزرت سنة 1239 هـ مفتي تونس ونواحيها كان في التحقيق غاية وفي حل المشكلات نهاية قرأ على أئمة أعلام منهم ابن طاهر ، محمد بن الخوجة تخرج على يديه عدة أعلام منهم المكي بن عزوز، إبراهيم المارغني توفي سنة 1329هـ.

ينظر:محمد بن محمد مخلوف – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط:1 – 1424هـ-2003م – ج:1 – ص : 598-599 .

[2]– أحمد تيمور باشا– أعلام الفكر الإسلامي – مصر– دار الآفاق العربية – ط:2 – 1423هـ – 2003م – ص378 .
محمد عبد المنعم خفاجي – الأزهر في ألف عام – مصر– القاهرة– مكتبة الكليات الأزهرية– ط:1 – 1408هـ/ 1988م – ج :1 – ص : 328 .

كما درس على خاله: محمد المكي بن عزوز[1] حيث أجازه هذا الأخير بكل رواياته وقد أقبل على هؤلاء وغيرهم حتى نال الشهادة العالمية في العربية والعلوم الدينية ، وها هو ذا يذكر كيف كان يتلقى العلم عن الشيوخ : فيقول:

((تلقيت عن الأستاذ رحمه الله- يقصد الشيخ سالم بوحاجب - دروسا من تفسير البيضاوي ودروسا من شرح التاودي على العاصمية ، ودروسا من شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي وكنت بعد أن استقال عن منصبَيْ الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيرا حرصا على الاستفادة من علمه))[2].

ثم علق على طريقته في التدريس فقال:

((أما أسلوب الأستاذ في التعليم فمن أنفع الطرق، كان يكرر عبارة المتن ويبسطها حتى يتضح المراد منها ثم يأخذ في سرد عبارات الشرح وما تمس الحاجة إليه من الحواشي والكتب التي بحثت الموضوع ، لاسيما الكتب التي اعتمد عليها شارح الكتاب ، ويتبعها بالبيان جملة جملة ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها وأوضح مجملها ، حيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط جواهر المعاني من أفواه المؤلفين زيادة عما يستفيد من العلم))[3].

---

[1]- هو محمد المكي بن مصطفى بن عزوز ....البرجي أصلا ،أصله من قرية تسمى البرج من صحراء بسكرة(النفطي مولدا ومنشأ)حيث كانت ولادته بنفطة في15رمضان1270هـ،حوالي1850متعلم بتونس وعلَّم بها وولي الإفتاء وهو ابن ست وعشرين سنة ثم انتقل الى الآستانة بتركيا معلما كان مسند افريقية ونادرتها ، استقر بالآستانة وتوفي بها سنة 1334 هـ - 1915م .

ينظر:عبد الحي الكتاني- فهرس الفهارس والأثبات-لبنان - بيروت- دار الغرب الإسلامي- ط:2 – 1402 هـ /1982م - ج:3 – ص:856 ؛ اسماعيل باشا - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- - لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي- ص60 دون طبعة أوسنة طبع ؛ خير الدين الزركلي- الأعلام - لبنان - بيروت - دار العلم للملايين – ط:15 -2002م - ج:7 – ص: 330 ؛ محمد بن محمد مخلوف – شجرة النور الزكية – ج:1 – ص:601-602.

[2]- محمد الخضر حسين – تونس وجامع الزيتونة – سورية – دمشق - دار النوادر – ط:1 – 1431هـ-2010م - ص:144 .

[3] - محمد رجب البيومي- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين - سورية - دمشق- دار القلم – ط:1- 1415هـ – 1995م - ج: 1 - ص : 53 .

و إذا أردنا أن نعرف الكم الكبير من الفنون التي كان يتلقاها طالب العلم آنذاك فهذه شهادة واحد ممن تلقوا العلم بجامع الزيتونة يلخص فيها طريقة التدريس ومواد التدريس ، ألا وهو الشيخ عمار الجزائري[1].

يقول: وكانت برامج العلم يومئذ حافلة بموادَ وكتبٍ غزيرة المادة يُدَرِّسُها شيوخ أجلَّة

فذكر مختصر خليل بشرح الدردير في أربع مراحل وذكر العاصمية ، وذكر التفسير والحديث والأصول والتلخيص في علوم البلاغة ، والأشموني في الألفية ، والجزرية والشاطبية في التجويد والقراءات، وجمع الجوامع، والمصطلح واللغة وذكر المعلقات والشافية ومراح الأرواح، والدرة البيضاء.

والسلم في المنطق للأخضري[2] ، وبعد إتمام الدراسة في تسع سنوات يتخرج القارئ بشهادة التطويع المعادلة لشهادة العالِمية [3].

ولا شك أن هذه العلوم تؤهل دارسها لأن يفسر كتاب الله عز وجل إذ العلوم الضرورية للمفسر جمعها العلماء في ما يأتي (العلم بالقرآن ، العلم بالسنة ، العلم بالسيرة وحياة الصحابة ، العلم بقواعد تفسير القرآن ، العلم باللغة العربية ، العلم بالنحو والصرف ، العلم بالبلاغة العربية،

[1] – عمار الجزائري: هو عمار بن عبد الله بن طاهر بن أحمد الهلالي الجزائري ولد سنة 1316 هـ بقمار درس بالزيتونة وتخرج منها 1341هـ ، هاجر إلى المدينة المنورة ،حفظ القرآن ببلده قلباش بسكرة ، هو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ،درّس بالمسجد النبوي، وتوفي بالمدينة المنورة 28 جمادى الأولى 1389هـ .

ينظر: عطية محمد سالم – من علماء الحرمين – السعودية– المدينة النبوية– دار الجوهرة – ط:1 – 1426هـ– ص : 411-412 .

[2] – عبد الرحمن الأخضري : (918هـ-983هـ) (1512م – 1575م) عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري أديب ، منطقي ، له مشاركة في بعض العلوم . من أهل بسكرة ، وضريحه مشهور في زاوية بنطيوس من قراها. له كتب في البيان والمنطق عُني بشرحها الأُدباء ، منها " الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون في المعاني والبيان والبديع ، "السلم المرونق " أرجوزة في علم المنطق ، "شرح السراج " في علم الفلك " مختصر الأخضري في العبادات في المذهب المالكي.
ينظر : شجرة النور الزكية – ج:1 – ص:412 ؛ الزركلي – الأعلام – ج : 3 – ص: 331.

[3] – عطية محمد سالم – من علماء الحرمين – ص :413 .

العلم بالقراءات القرآنية ، العلم بالعقيدة ، العلم بأصول الفقه ، العلم بتاريخ العرب الجاهلي ، العلم بتاريخ السابقين ، العلم بالمذاهب الفكرية المختلفة ، العلم بالثقافة المعاصرة)[1]

ولا شك أن محمد الخضر حسين نال النصيب الكبير من هذه العلوم التي أهّلته لأن يكون له حضوره المتميز بين المفسرين ، يضاف إلى هذا ما امتاز به من روح ثائرة جعلته يقاوم كل انواع الظلم بسيف القلم وقوة الحجة والكلمة؛ وكأنه بهذا الاجتهاد وهذا الحرص يتمثل قول القائل :

و اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ أَرْفَعُ رُتْبَةً وَأَجَلُّ مُكْتَسَبٍ وَأَسْنَى مَفْخَرِ.
فَاسْلُكْ سَبِيلَ الْمُقْتَنِينَ لَهُ تَسُدْ إِنَّ السِيَّادَةَ تُقْتَنَى بِالدِّفْتَرِ.
وَالْعَالِمُ الْمَدْعُوُّ حَبْرًا إِنَّمَا سَمَّاهُ بِاسْمِ الْحَبْرِحَمْلُ الْمِحْبَرِ
وبضُمَّرِ الْأَقْلَامِ يَبْلُغُ أَهْلُهَا مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالْجِمَالِ الضُمَّرِ[2].

كان غيورا على الدين مخلصا للوطن عدوا للإستعمار أنشأ "مجلة السعادة العظمى" سنة: 1321هـ-1903م لنشر محاسن الإسلام وفضح أساليب الإستعمار، وهي أول مجلة ظهرت في المغرب العربي الكبير لكن سلطات الإستعمار الفرنسي أغلقتها سنة 1323هـ- 1905م.

وفي هذه السنة نفسها ، تولى القضاء في مدينة بنزرت ثم تركه بعد مدة إلى العمل في حقل التدريس في جامعة الزيتونة وفي المدرسة الصادقية[3].

[1] - صلاح عبد الفتاح الخالدي- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين -سورية-دمشق- ط:4 - 1431هـ-2010م- ص : 53 وما بعدها .

[2] - الأبيات لعبد الملك بن إدريس الوزير ، ينظر : ابن عبد البر - أبوعمر بن يوسف- جامع بيان العلم وفضله - تحقيق: ماهر ثملاوي – حسن شلبي – سوريا- دمشق - مؤسسة الرسالة ناشرون- ط: 1- 1433هـ – 2012 م - ص: 486.

[3] - ينظر : عبد الله العقيل - من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة – السعودية – جدة- دار البشير-ط:8 – 1429هـ-2008م – ج:2-ص: 845-846 ؛ محمد بن إبراهيم الحمد- تراجم لتسعة من الأعلام - السعودية- الرياض – دار الزلفى - ص 122.

ب –الهجرة إلى المشرق :

نظرا لانشغال محمد الخضر حسين بالسياسة ودعوته إلى الجهاد والتحرير حكم عليه الإستعمار الفرنسي بالإعدام ففر وهاجر إلى دمشق مع أسرته ولكنه لم يبلغ طرابلس حتى اضطر إلى الرجوع بعد أن أقام بها أياما ثم عاد إلى تونس وفي سنة 1325 اشترك في تأسيس جمعية "زيتونة" ثم جُعل مدرسا بالصادقية وكلف بالخطابة.

ولما قامت الحرب الطرابلسية بين إيطاليا والعثمانيين كان من أعظم الدعاة لإعانة الدولة .

ونشر بجريدة الزّاهرة قصيدته التي مطلعها :

ردُّوا عـَلَى مَجْدِنَا الذِكْـرَ الّذِي ذَهـَبَا

يَكْفِي مَضَاجِعَـنَا نـَوْمٌ دَهَــى حُقُبَا[1] .

ثم زار الجزائر وطاف بأمهات مدنها (عنابة وباتنة والعاصمة) وألقى بها الدروس المفيدة ثم عاد إلى تونس وعاود دروسه في جامع الزيتونة وفي سنة 1330 ه سافر إلى دمشق مارا بمصر ثم القسطنطينية فدخلها يوم –إعلان الحرب على البلقان – وزار مكاتبها ثم عاد إلى تونس وواصل الترحال إلى مصر وعرف بعض فضلائها مثل : (رشيد رضا ، وأحمد تيمور باشا)ثم إلى دمشق حيث عين مدرسا للغة العربية والفلسفة بالمدرسة السلطانية بها[2] .

[1]– مطلع قصيدة بعنوان " إهابة" ، قيلت بتونس في التذكير بإعانة بعثة الهلال الأحمر التركية التي مرت بتونس إلى طرابلس أيام الحرب الإيطالية .

ينظر : محمد الخضر حسين – ديوان خواطر الحياة – سورية – دمشق – دار النوادر – ط1 : 1431هـ-2010م – ص: 40 .

[2] –أحمد تيمور باشا- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث – مصر- القاهرة- دار الآفاق العربية – ط:2 – 1423هـ-2003م – ص: 379 ؛أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي-ج:3 – ص217 ؛ عبد المنعم خفاجي – الأزهر في ألف عام – لبنان – بيروت – عالم الكتب – ط :2 – 1408هـ- 1988م – ج :1 – ص : 329 ؛ الزركلي – الأعلام – ج:6 – ص 113 .

وهناك تعرف على أكابر علمائها ، كجمال الدين القاسمي[1] ، محمد بهجة البيطار[2] ....

ثم استمر على التدريس بالمدرسة بدمشق إلى أن دعي إلى القسطنطينية سنة 1336هـ ثم هاجر إلى اسطنبول بعد عام وعمل محررا بالقلم العربي بوزارة الحربية ثم أرسلته الحكومة إلى ألمانيا للقيام بعمل سياسي وهو تذكير الأسرى هناك بظلم فرنسا ثم رجع إلى الشام فدرّس الفقه بالمدرسة السلطانية العربية .

وبعد أن احتلت فرنسا الشام بعشرة أيام هاجر إلى مصر عام 1338 هـ[3]، وكان قد نشر أخبار رحلته في جريدة "المقتبس الدمشقية"[4] .

[1] – جمال الدين بن محمد بن قاسم القاسمي : إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب . مولده ووفاته في دمشق . إشتغل بإلقاء الدروس العامة في المدن والقرى السورية ،ثم رحل إلى مصر ، وزار المدينة المنورة ، خلف آثارا قيمة، منها : محاسن التأويل .ينظر: الزركلي – الأعلام – ج: 2 – ص: 131 ؛ عادل نويهض – معجم المفسرين – لبنان – بيروت –مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر– ط:3 – 1409هـ–1988م – ج:1 – ص :127 .

[2] – محمد بهجة البيطار ، مفسر مشارك ، في بعض العلوم ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولد في دمشق من أسرة دمشقية –كان جدها من(البليدة) من أعمال الجزائر– سنة 1311هـ–1894م ، ، تلقى مبادئ علوم الدين واللغة على والده وجده لأمه عبد الرزاق البيطار ، وعلى جمال الدين القاسمي ، ومحمد الخضر حسين التونسي نزيل دمشق ، وبدرالدين الحسني ، عمل بالسعودية ، ثم عاد إلى دمشق مدرسا لمادة التفسير ، قام بعدة رحلات . توفي بدمشق في 30 جمادى الأولى سنة 1396هـ–29 أيار1976م .من آثاره : الرحلة النجدية الحجازية ،كلمات وأحاديث ، تفسير سورة يوسف .

ينظر : عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين – لبنان – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط:1– 1414هـ– 1993م – ج3 – ص:172–173 .

[3] – محمد عبد المنعم خفاجي – الأزهر في ألف عام – ج : 1– ص : 330 .

[4] – الأعلام – ج : 6 – ص : 113.

المبحث الثاني : أسفاره والمناصب العلمية .

✓ **المطلب الأول :مصر وتولي مشيخة الأزهر :**

كان حضور السيد محمد الخضر حسين إلى مصر في وقت كانت في أمس الحاجة إليه ليتفق مع أنصار الدعوة الإسلامية أمام دعاة الإلحاد وأتباع الثقافة الإستعمارية في مصر.

عمل في البداية مصححا بدار الكتب المصرية لمدة خمس سنوات والتقى كبار العلماء وآثره الأستاذ أحمد تيمور باشا بصداقته حوالي سنة 1922.

وفي هذه الأثناء صدر في مصر كتابان شهيران أحدثا دويا في ذلك الوقت في الأوساط الفكرية هما كتاب " الإسلام وأصول الحكم " للعالم الأزهري علي عبد الرازق وكتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين ؛ ونظرا لما اشتمل عليه هذان الكتابان من آراء مضللة تصدى بعض كبار الباحثين للرد على كل منهما.

وكان لمحمد الخضر حسين فضل الرد وأفرد لكل منهما كتابا مستقلا كانا من خير ما كتبه الكاتبون في هذا المجال وهما : "نقض كتاب : الإسلام وأصول الحكم " ، " نقض كتاب: في الشعر الجاهلي"[1].

ثم تقدم إلى الأزهر لامتحان العالمية برسالة جليلة عَنوَنها : "القياس في اللغة" فلقي الإعجاب والتقدير من لجنة المناقشة وكان الشيخ عبد المجيد اللبان رئيس اللجنة مع نخبة من رجالاته فأبدى محمد الخضر من الرسوخ والتمكن ما أدهش .

حتى صاح الشيخ اللَّبَّان قائلا :" هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه في حجاج "!!!؟ فنال العالمية وانضم إلى طليعة علماء الأزهر"[2] .

[1] – خير الدين الزركلي – الأعلام – ج :1 – ص : 331 .

[2] – سعيد عبد الرحمن – شيوخ الأزهر – مصر – القاهرة – الشركة العربية للنشر والتوزيع – ج: 4 – ص :30. دون طبعة ؛ محمد رجب البيومي – النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – ج:1 – ص : 64 ؛ عبد الله العقيل – من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية – ج : 2 – ص :847 .

لما نال محمد الخضر العالمية الأزهرية وصار أستاذا للأزهر ومدرسا في كلية أصول الدين اِتجه بعد ذلك إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية فكان أحد مؤسسي (جمعية الشباب المسلم) ووضع لائحتها مع صديقيه أحمد تيمور باشا والسيد محب الدين الخطيب[1] كما أسس جمعية الهداية ، وتولى رئاسة تحرير مجلتي الأزهر ولواء الإسلام .

و ترأس جمعية (الدفاع عن شمال إفريقيا) وتولى الفضيل الورتلاني[2] منصب الكاتب العام وكان من أهداف هذه الجمعية .

1. السعي لتحقيق حرية واستقلال الشعوب لشمال افريقيا(تونس،الجزائر،مراكش) وضمها إلى جامعة الدول العربية.
2. دستور الجبهة (التضامن، وتحريم العصبيات).
3. تسعى الجبهة لتحقيق اهدافها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء الصحف وفتح النوادي وتكوين شعبٍ لها في مصر ،وخارج مصر إن لزم الأمر[3].

– **اختير** عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر وكانت له بحوث في المجمع تدل على تمكنه من علوم اللغة كما عين عضوا في المجمع العربي بدمشق إذ كان الشيخ كاتبا وشاعرا له شعر كثير جيد

[1]– هو محب الدين الخطيب بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح الخطيب يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني، ولد سنة 1303هـ-1886م من كبار الكتاب الإسلاميين ولد في دمشق وتعلم بها وبالأستانة. انتقل إلى القاهرة عمل محررا بمجلة الأزهر وأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث من مؤلفاته "الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحة"،"الرعيل الأول في الإسلام"... كما ترجم العديد من الكتب من التركية إلى العربية توفي سنة 1389هـ -1969م.
ينظر: الأعلام – ج : 5 – ص:283 .

[2]–الفضيل الورتلاني الجزائري ولد في قبيلة بني ورتلان من دائرة سطيف بالجزائر استكمل دراسته على يد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ، انتقل إلى القاهرة فكان يدعو إلى مقاومة الإستعمار الفرنسي في الشمال الإفريقي من مؤلفاته : كتاب"الجزائر الثائرة"زار العديد من الدول واستقر في اسطنبول وتوفي بها سنة1378 هـ -1959م.
ينظر: خير الدين الزركلي-الأعلام – ج: 5 – ص :153 .

[3]–يحي بوعزيز- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة- لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ط : 1 -1995م – ج :1- ص : 184 .

وقد وصفه الفاضل بن عاشور فقال : " كان كاتبا بليغا ذا طبع خاص وأسلوب قوي الروح الأدبية فصيح العبارة بليغ التركيب يترع إلى طرائق كتاب الترسل الأولين " [1].

*** مشيخة الأزهر :**

لقد سبق الإشارة إلى إن محمد الخضر حسين اجتاز امتحان شهادة العالمية بتفوق ومنح الجنسية المصرية وأصبح بذلك أحد شيوخ الأزهر وتقدم سنة1950 إلى هيئة كبار العلماء طالبا العضوية وكانت العضوية تشترط شرطين: (العالمية ، وتقديم بحث علمي ممتاز) فقدم بحثا عن (القياس في اللغة) وقبل بالإجماع وأصبح من كبار الأزهر وفي 1952/12/16 اختير لمنصب مشيخة الأزهر .

فكان أول عالم غير مصري يتولى هذا المنصب منذ قرون مضت منذ تولى محمد الخراشي[2] أول منصب للمشيخة ؛ وهو- أي محمد الخضر- الشيخ الخامس والثلاثون من الشيوخ الذين تولوا الجامع الأزهر[3].

لقد كان اختيار محمد الخضر حسين من طرف اللواء محمد نجيب ومجلس وزرائه، وحينما تولى " مشيخة الأزهر" لم يغير شيئا من عاداته كان على استعداد كامل ودائم لأن يعيش على كسرة من الخبز وكوب من اللبن ولأنه لم يكن له شهوات في المنصب فإنه كان دائما يحتفظ باستقالته في جيبه ولقد كان يقول ((إن الأزهر أمانة في عنقي أُسَلِّمها حين أُسَلِّمُها موفورة

[1]- الفاضل بن عاشور- الحركة الفكرية والأدبية في تونس - الدار التونسية - تونس - ط2 : 1974 - ص : 143.

[2]-هو محمد الخراشي المالكي، فقيه نحوي شيخ المالكية انتهت إليه رئاستهم في مصر أخذ عن البرهان اللقاني والنور الأجهوري من آثاره الدرة السنية على حل ألفاظ الآجرومية، شرح على مختصر خليل ،توفي سنة : 1101 هـ -1690م ينظر: رضا كحالة - معجم المؤلفين – ج: 3 - ص :273 ؛ محمد بن محمد مخلوف - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – ص: 317 .

[3]- محي الدين الطعمي - النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر- لبنان – بيروت – دار الجيل – ط:1- 1412هـ - 1992م- ص : 109 .

كامله وإذا لم يتأت أن يَحصُل للأزهر مزيد من الإزدهار على يدي" فلا أقل أن لا يحصل له نقص))[1].

وكان الأمر كما كان فقد قاد مشيخة الأزهر إلى جمادى الأولى- 1373 هـ- 1954م.

ثم استقال من المشيخة واختُلف في سبب استقالته فمنهم من يُرجع ذلك إلى تقدمه في السن ومصارعة الأمراض ويرى آخرون أنه استقال بسبب قيام المسؤولين في مصر بتوحيد القضاء فقد كان من رأيه أن يندمج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي وليس العكس لأن الشريعة الإسلامية ينبغي ان تكون هي المصدر الأساسي للقوانين .

قال محمد سعيد رمضان البوطي : ((ولما لم يمكن لكل ما أراد أن يطبق ، أبى إلا الإستقالة عن منصبه معتذرا بأنه ليس من الوفاء للحق أن يملأ منصبا دون أن يعطيه حقه))[2] .

استقال من المنصب بعد أن أعطاه حقه من الرعاية والتكريم فما كان يتطامن أمام حاكم ولا كان يجامل على حساب عقيدته أو دينه – وكان هذا شأنه منذ نشأته[3].

وفاته :

بعد استقالة محمد الخضر حسين من منصب مشيخة الأزهر تفرغ كعادته للكتابة والبحث والمحاضرة حتى لقي ربه في مساء الأحد الثالث عشر من رجب 1377هـ الموافق للثاني والعشرين من فبراير 1958 م.

توفي بالقاهرة ودفن بوصية منه في مقبرة صديقه أحمد تيمور باشا أو آل تيمور[4].

---

[1]- عبد الحليم محمود – الحمد لله هذه حياتي ، مصر- القاهرة – دار المعارف – ط : 3 – ص: 110 دون سنة طباعة.

[2]- البوطي : محمد سعيد رمضان – من الفكر والقلب – الجزائر – – عين مليلة- دار الهدى – 1990م- ص : 242 دون طبعة .

[3]-سعيد عبد الرحمن – شيوخ الأزهر – ج : 4 – ص : 32 .

[4]- الأعلام – ج : 6 – ص : 114 ؛ محمد عبد الله ماضي – الأزهر في اثني عشر عاما – مصر – القاهرة – الدار القومية للطباعة والنشر – ص : 68 دون طبعة .

مات رحمه الله ولم يخلف من حطام الدنيا شيئا... مات وقد قدم لأخراه النصيب الأوفر من حياته بل كل حياته ، مات تاركا أبلغ الأثر في تراثه العلمي الذي خلفه ، وسيرته الطيبة، التي يتحدث بها القاصي والداني من العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله[1] .

المطلب الثاني : تلامذته وشهادة العلماء له .

- **تلاميذه :**

إن محمد الخضر حسين طَوَّفَ بالمشرق والمغرب ودَرّس في الجامعات الكبرى فدرّس بالزيتونة والأزهر ومدارس دمشق وكان له في كل مدرسة طلبة وتلاميذ انتفعوا بعلمه .

ومن تلاميذه بالجزائر: رائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس ،و إبراهيم العوامر[2].

قال أبو القاسم سعد الله عن هذا الأخير : " قد درس على يد الشيخ محمد النخلي ومحمد الخضر حسين وهما من شيوخ ابن باديس أيضا "[3]

و من تلامذته أيضا وهبي سليمان غاوجي الألباني ومحمد بهجة البيطار ، محمد الصادق عرجون، محمد حسين الذهبي ومن تونس جعيط عبد العزيز وممن استفادوا منه عبد الفتاح أبو غدة ، محمد سعيد رمضان البوطي.

- **شهادة العلماء له:**

إن كل من لقي محمد الخضر حسين وسمع منه اعترف بفضله ورسوخه في العلم وسمو اخلاقه وهذه شهادات اخترناها من جهات مختلفة من الهند ومن مصر ومن دمشق ومن تونس.

---

[1]-عبد الحليم محمود- الحمد لله هذه حياتي - ص : 110 .

[2]- هو ابراهيم العوامر من قضاة الوادي ومن المؤلفين في التاريخ والتصوف ومن المدرسين أيضا ولد بواد سوف سنة 1881م درس في تونس ودخل الزيتونة ودرس على يد الشيوخ محمد النخلي ومحمد الخضر حسين .
ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي -ج : 5 - ص : 505 .

[3]- المرجع نفسه - ج: 5 – ص: 505 .

✓ **-شهادة أبي الحسن الندوي :**

يقول في كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي تحت عنوان مقابلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين " وقابلنا هنا الشيخ الخضر رئيس الجمعية ومدرس في كلية أصول الدين سابقا كنت أعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان ،وأعرفه كعالم راسخ في العلوم الدينية والأدبية...وقد تذكرت برؤيته والحديث معه كثيرا من علماء الهند في الهدوء ورسوخ العلم" [1].

✓ **أما عبد الحليم محمود** فيقول عنه: "مؤمن صادق الإيمان مجاهد ... جاء إلى مصر عالما ، ثبتا ، فقيها ، لغويا ، كاتبا ، من الرعيل الأول وقد أرضى بنزعته المعتدلة وحجته القوية وتشبثه بما يقول جميع الطوائف ، وذلك أن كل رأي يقول به إنما يستند إلى دليل واضح مقبول أسهم في الحركة الفكرية الإسلامية بنصيب وافر ، فكتب في كل ما أثير في عصره الخصب في الفكر والبحث"[2].

و أما تلميذه **محمد بهجة البيطار** فيقول عنه : "أستاذنا الجليل السيد محمد الخضر حسين علم من أعلام الإسلام ، هاجر إلى دمشق في عهد علامتي الشام :جدي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ القاسمي ، فاغتبطا بلقائه واغتبط بلقائهما ، وكنا نلقاه ونزوره معهما ، ونحضر مجالسه عندهما ، فأحكمت بيننا روابط الصحبة والألفة والود من ذلك العهد ولما توفي شيخنا القاسمي سنة 1333هـ ، لم نجد نحن معشر تلاميذه من نقرأ عليه أحب إلينا ولا آثر عندنا من الأستاذ الخضر، لما هو متصف به من الرسوخ في العلم ، والتواضع في الخلق ، والبر بالإخوان وأخذنا منذ ذلك الحين نقتطف ثمار العلوم والآداب من تلكم الروضة الأُنُف ، ونرتشف كؤوس الأخلاق في سلسبيل الهدى والتقوى .... مجتمعين حول هذا البدر المنير"[3].

---

[1]- أ بو الحسن الندوي – مذكرات سائح في الشرق العربي – ص : 89 -90 .

[2]-عبد الحليم محمود – الحمد لله هذه حياتي – ص : 110 .

[3]- محمد بن إبراهيم الحمد – تراجم لتسعة من الأعلام – ص 125-126 .

وبمثل ما مضى فقد شهد **محمد البشير الإبراهيمي** حيث تكلم عن مجالس العلماء في دمشق وعبر عن شعوره وهو يرتادها وبيّن مكانة محمد الخضر حسين بقوله :" وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ محمد الخضر حسين مدّ الله في حياته. ولقد أقمت بين أولئك الصحبِ الكرام أربع سنين إلا قليلًا، فأشهدُ صادقًا أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر، في عمري الغامر؛ وأنني كنت فيها أقرّ عينًا وأسعد حالاً"[1].

وهذا عبد الفتاح أبو غدة ينعته ب :" العلاّمة المحقق الفقيه الأصولي اللغوي الأديب الشيخ محمد الخضر بن حسين التونسي شيخ الأزهر"[2].

و أما بلغة الشعر فهذا محمد العيد آل خليفة ألقى قصيدة بعنوان "تهنئة الأزهر بشيخه الجديد سنة 1952م بمناسبة إسناد مشيخة الأزهر إلى الشيخ الإمام محمد الخضر حسين.

قال:

صَوْتُ حَقٍّ دَعَا الْمَلِيكَ فَلَبَّـــى مُسْرِعًا وَالْوَزِيرَ والْفَلاَّحَـــا

وَالإِدَارَاتِ والمَعَاهِدَ والأَحْـــ ـــزَابَ طُرّا فَعَمَّهَا إِصْلاَحَـــا

وَ حَبَا الأَزْهَرَ الشَّرِيفَ رَئِيسًا عَبْقَرِيًّا ومُصْلِحًا مِسْمَاحًـــــا

وَ إِمَامًا مُجَدِّدًا مَغْرِبِـــيًّـــا رَفَعَ المَغْرِبَ المَهِيضَ جَنَاحَـــا

هَنِئَ الأَزْهَرُ الشَّرِيفُ بِشَيْـــخٍ طَابَ أُنْسًا بِهِ وَزَادَ انْشِرَاحَـــا

رَأَسَ الأَزْهَرَالشَّرِيفَ فَخِلْنَـــا سَادِنَ البَيْتِ أُوتِيَ المِفْتَاحَـــا

[1]- محمد البشير الإبراهيمي - الآثار (عيون البصائر)- جمع أحمد طالب الإبراهيمي – لبنان - بيروت - دار الغرب الإسلامي – ط :1 - 1997م - ج: 3 - ص: 566

[2]- أبوغدة : عبد الفتاح - إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات عبد الفتاح - تحقيق :محمد بن عبد الله آل رشيد – السعودية – الرياض- مكتبة الإمام الشافعي – ط : 1 - 1419 هـ -1999م - ص : 324 .

وَ جَلاَ الْحَقَّ بِ(الهِدَايَةِ)[1] حِينًا فـــــنَفَى عَنْهُ غَيْمَهُ وأَزَاحَـا

حَارَبَ الْجَهْلَ والتَّعَصُّبَ والإِلْـ حَادَ والدَّجْلَ والخَنَا والسِّفَاحَـا

بِيَرَاعٍ يَفْرِي المَشَاكِلَ عَضْبَا وحِجًى يَكْشِفُ الدُّجَى لَمَّاحَـا

حَازَ آلُ الحُسَيْنِ (بِالخَضِرِ)الحـ ـرِّ مَدَى فَخْرِهِمْ وفَازُوا قِدَاحَـا

أَوْرَثَ اللَّهُ مِنْهُ (طُولْقَةَ)العِـــرْ قَ وأَوْرَى (بِنَفْطَةَ)المِصْبَاحَـا

(تُونُسُ) تَقْبَلُ التَّهَانِيَ نَشْوَى وتُهَادِي (الجَزَائِرَ) الأَفْرَاحَـا

إِنَّ كِلْتَا الأُخْتَيْنِ مِنْ خَمْرَةِ البُشْـ ـرَى تَعَاطَتْ عَلَى الصَّفَا أَقْدَاحَـا

قَدْ طَوَى سَبْعَةً وسَبْعِينَ عَامًا نَاشِرًا نُورَ عِلْمِهِ وَضَّاحَـــــــا[2]

- **مؤلفاته :**

لقد خلف محمد الخضر حسين ميراثا ضخما وتراثا عظيما وهو "كنز نفيس أجم النفع لمن يحصله"[3]

خلف كتبا ومقالات وبحوثا ورسائل ودواوين شعرية

ففي التفسير له :" **أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية كريمة**"وهو الكتاب الذي حوى جل تفسيره كتاب في 430 صفحة طبعته دار النوادر فَسَّر فيه الشيخ سورة الفاتحة وجُلَّ سورة البقرة وآيات من سورة آل عمران والأنفال ويونس وآيات من سورة الحج وسورة : (ص) وسيأتي التعريف به في مطلب إنتاج محمد الخضر حسين في التفسير .

و أيضا "**بلاغة القرآن** " صدر هذا الكتاب سنة 1951م اشتمل على عشرين مقالة وبحثا تتصل بالقرآن يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف :

---

[1] – يقصد مجلة الهداية ، وسيأتي التعريف بها في مبحث منابر التفسير عند محمد الخضر حسين .

[2] –ديوان محمد العيد آل خليفة – الجزائر – عين مليلة – دار الهدى – 2010م – ص : 190 – 191 . دون رقم طبعة .

[3] – عبد الحليم محمود– الحمدلله هذه حياتي – ص : 110 .

منها ما يتحدث عن كتاب الله من حيث بيانه ولغته ، ومنها ما يتحدث عن قيمته الأدبية أما القسم الثالث فهو مجموعة ردود على بعض الكتاب الذين أساؤوا تفسير القرآن وبالغوا في تأويله عن المقصد الأصلي الذي جاءت به الشريعة الإسلامية[1] ومن تراثه الذي حوى بعض البحوث والمواضيع التفسيرية :

"**رسائل الإصلاح**" تحتوي هذه الرسائل على ثلاثة عشر فصلا تبحث في أربعة مواضيع رئيسية هي : الحاجة إلى الدعوة – شروط الداعي – طريقة الدعوة – ومضمونها[2].

كتابا النقض وهما "**نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم**" ، "**نقض كتاب في الشعر الجاهلي**"، فالكتاب الأول رد على الشيخ علي عبد الرازق – والثاني رد على الكاتب طه حسين ولنا إشارة لمضمون ما جاء فيهما والرد على محتواهما في فصل : ملامح الإصلاح ، مبحث (السياسة والحكم)[3]

–"خواطر الحياة" : هو ديوان يحتوي حوالي 180 قصيدة افتتحه بمقدمة تعرض فيها إلى أهم فترات حياته كما له مؤلفات أخرى في مختلف الفنون منها :

"**حياة اللغة العربية**" ، "**الخيال في لشعر العربي**". "**مدارك الشريعة الإسلامية**" ، "**الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان**" ، "**الحرية في الإسلام**" "**محمد رسول الله وخاتم النبيين**" ، "**تونس وجامع الزيتونة**[4].

[1]- ينظر : محمد مواعده – محمد الخضر حسين حياته وآثاره- تونس – الدار التونسية للنشر – ط:1- 1974م- ص:145-146 .

[2]- المرجع نفسه – ص:183 .

[3]- ينظر:علي الرضا الحسيني – الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين – سورية – دمشق –دار النوادر- ط:1- 1431 هـ -2010م- ص: 466 ومابعدها .

[4]- خير الدين الزركلي – الأعلام – ج:6 – ص: 114 .

الفصل الأول

❖ جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح والتفسير

- المبحث الأول : جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح
- المبحث الثاني : مجالات الإصلاح
- المبحث الثالث : جهود محمد الخضر حسين في التفسير

المبحث الأول : جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح

✓ المطلب الأول : مفهوم الإصلاح وعصر محمد الخضر حسين

أولا – تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا:

لغة : الإصلاح : صلح الشيء (صُلُوحًا) من باب قعد و(صَلاَحًا) أيضا وصلُحَ بالضم لغة وهو خلاف فسد و(صلَح)(يَصْلَحُ) بفتحتين لغة ثالثة فهو (صَالِحٌ) و(أَصْلَحْتُهُ) (فَصَلَحَ) و(أَصْلَحَ) أتى (بِالصَّلاحِ) وهو الخير والصواب وفي الأمر (مَصْلَحَةٌ) أي خير والجمع (المصَالِحُ) و(صَالَحَهُ) (صِلاَحًا) من باب قاتل و(الصُّلْحُ) اسم منه وهو التوفيق ومنه (صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ) و(أَصْلَحْتُ) بين القوم وفقت، و(تَصَالَحَ) القوم و(اصْطَلَحُوا) وهو (صَالِحٌ) للولاية له أهلية القيام بها [1].

اصطلاحا : جاء في تفسير ابن باديس قوله :" الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرأ عليه من فساد ، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه .

فإصلاح البدن بمعالجته بالحِمية والدواء ، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة ، وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر وافساد النفس بمقاربة المعاصي والذنوب وهكذا تعتبر النفوس والأبدان في باب الصلاح والفساد[2] .

والإصلاح الديني :"محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين ، ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية

---

[1]– الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم – معجم مفردات ألفاظ القرآن – مادة صلح – تحقيق : يوسف محمد البقاعي – لبنان– بيروت – دار الفكر – 1432هـ-2010م ؛ ابن منظور : محمد بن مكرم الافريقي المصري – لسان العرب – باب الحاء – فصل الصاد – مادة صلح –– لبنان – بيروت – دار صادر – ط :1– 1374هـ-1955 – ج : 2 – ص: 516 .

[2]– ابن باديس – عبد الحميد – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير– تحقيق : أبو عبد الرحمن محمود – الجزائر– دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم – ط :1 – 1430هـ-2009م – ج :1 – ص: 206-207 .

من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره عندما يصبح في غده"[1]

ثانيا – عصر محمد الخضر حسين :

لقد عاش محمد الخضر حسين في الفترة ما بين :(1293هـ -1377هـ) (1873م – 1958م) وهو ما يعبر عنه بالعصر الحديث الذي يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية القرن العشرين ، شهد هذا العصر عدة مظاهر يمكن ان نجملها في ما يلي :

تحكم المادية الجاهلية الغربية في العالم ، حيث تقدمت أوروبا وأمريكا كثيرا في العلم والمادية والتكنولوجيا ، وبالغت في الجاهلية والإبتعاد عن الله ، وانتشار الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية والآراء التي تهاجم الدين والإيمان ، وتدعو إلى اللاّدينية ، والنظريات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .

ظهر في العصر الحديث فلاسفة ومفكرون لا دينيون مثل : هيجل ، وماركس ودوركايم وداروين وفرويد ونيتشة وسارتر. وظهرت الماركسية والوجودية والدارونية والقومية والرأسمالية والاشتراكية وغيرها.

وبينما شهد العصر الحديث تقدم وتحكم الجاهلية الأوروبية ، فقد شهد تأخر وانحطاط المسلمين ، حيث ابتعد المسلمون كثيرا عن إسلامهم ، وتأخروا عن ركب العلم والحضارة والتقدم وقام الغربيون بغزو واستعمار بلاد المسلمين وامتصاص مواردهم وخيراتهم ، ونشر الأفكار والمذاهب الغربية بينهم .

انتشرت كثير من هذه الأفكار في بلاد المسلمين ، ونشأت أجيال جديدة من المسلمين متأثرة تأثرا كبيرا بالمذاهب الجاهلية الغربية ، ومقلدة للآخرين في حياتهم وممارساتهم.

[1]– محمد البهي – الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – مصر– القاهرة – مكتبة وهبة– ط:4 – 1384هـ-1964 – ص :421 .

كما ظهرت فرق عقدية تناقض أصول الدين وتنقض ثوابته وكان لهذه الفرق دعاة وأتباع ومن هذه التوجهات : العلمانية[1] والقاديانية والبهائية.

وقامت حركات إسلامية في بلاد المسلمين تدعو الأمة إلى العودة لإسلامها وتطبيق شريعتها، والتخلي عن تبعيتها للأعداء .

ودعا هذا الواقع المؤلم المسلمين في العصر الحديث –الدعاة والمصلحين– إلى الإقبال على القرآن ، يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه ، ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة والتربية والإصلاح ، وظهرت مدارس فكرية إسلامية، انطلقت من تفسير القرآن في إصلاح المجتمع[2] .

المطلب الثاني : الإصلاح في العصر الحديث

ان الدارس بإمعان للنصف الثاني من ق 19 وبحكم وجود الإستعمار في معظم البلاد العربية والإسلامية وضغطه على الواقع المعيش ، وبما جلبه للبلدان المستعمَرة إذ خلق واقعا لم يكن به عهد لهذه البلاد أو تلك يدرك أن صدمة وقعت للأوطان العربية والإسلامية بسبب هذا الوضع الجديد من جراء وجود المستعمِر فانقسمت طلائعه أو نخبته إزاء الحضارة الغربية الوافدة عليهم إلى تيارات ثلاثة :

أ_ الرافضون ، ب_ المنبهرون ، ج_ المجددون

أو من عرفوا بالإصلاحيين المنفتحين على الحضارة مع عدم التفريط في الأصول التي جاء بها الدين الحنيف[3] .

---

[1] _ العلمانية: نسبة الى العلم بكسر العين على أنها نسبة على غير بابها ، إذ الأصل أن يقال : علمي أمّا كلمة عَلم بفتح العين وسكون اللاّم فهي من باب علم علما أي انشقت شفته العليا ، والوصف منه للرجل :أعلم ،وللمرأة: علماء بفتح العين وسكون اللام والمعنى الذي يرمي إليه أصل هذه الكلمة أن الجدير بالمجتمعات أن تستبدل بارتباطها الديني الارتباط العلمي. ينظر : البوطي : محمد سعيد رمضان – يغالطونك إذ يقولون
– سورية – دمشق – دار الفارابي – ط: 2 – 1421 هـ – 2000 م – ص: 33-34 .

[2] – الخالدي : صلاح عبد الفتاح– تعريف الدارسين بمناهج المفسرين – ص : 562-563 .

[3] – كمال عجالي – الفكر الإصلاحي في الجزائر– الجزائر– وزارة الثقافة– 2007م– ص:37 .

أمّا الفريقان الأوّلان (الرافضون – المنبهرون) فقد خضعا لميزان التفريط والإفراط ، فالأول (الرافضون) أهمل حياة العصر وعاد إلى الماضي يرتشف ثمالة أسلافه في حين أهمل الفريق الثاني (المنبهرون) ماضي أمجاده وانكب يرتشف ثمالة أسياده الغربيين ، وبمقارنة بسيطة يتجلى لنا أن كلا الفريقين ظل يعيش على هامش الحضارة الغربية فكلاهما ظل بعيدا عن المنهج السليم الذي حاول الفريق الثالث أن يتشبث به ، وزعماء هذا الفريق–(المجددون) – كثيرون فمن أقطابه المبرَّزين :جمال الدين الأفغاني[1]، محمد عبده، رشيد رضا ، محمد إقبال، طنطاوي جوهري ، فريد وجدي ، مالك بن نبي ، عبد الحميد بن باديس ، الذين كان لهم دور فعال في بعث النهضة والحركة الإصلاحية الحديثة في أنحاء العالم العربي والإسلامي ، ولكن الملاحظ أن هذه التيارات لم تكن على وفاق وانسجام فيما بينها لاختلاف مشارب كل منها ، فقد وجدت الشعوب الإسلامية أن عليها وهي تحشد قواها المعنوية والفكرية في نضالها ضد أوروبا للدفاع عن عقيدتها وعن حريتها التي تبدأ بتغيير أوضاعها الإجتماعية والثقافية وأدى ذلك إلى كثير من الأزمات بين الجيل القديم والجيل الجديد وفيما بين الأوساط الإجتماعية وكذلك على الأخص عند المثقفين من أنصار التجديد والمدافعين عن الأفكار والقيم السلفية باعتبارها أفضل تعبير عن النموذج الإسلامي – كان ذلك عند المحافظين التقليديين — الذين رأوا الحل في التمسك بأوامر الدين ونواهيه بحرفية تامة لا هامش فيها للتحرك مع مستجدات الحياة ومتطلبات العصر الحديث[2] .

[1]– جمال الدين الأفغاني (1254–1314 ه ، 1838–1897م) ، بن صفدر بن علي بن محمد الحسيني ، حكيم واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية ،كان يعرف اللغات : الأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية ويلم باللغتين الإنكليزية والروسية ؛ ولد بقرية أسد آباد من أعمال همذان في شعبان ، وسافر إلى الهند وتلقى العلوم العقلية والنقلية ، رحل إلى الحجاز ثم القسطنطينية نثم قصد مصر فنفخ فيها روح نهضة إصلاحية في الدين والسياسة ، نفته الحكومة المصرية، فقصد باريس وأنشأ فيها مع رفيقه محمد عبده جريدة العروة الوثقى ، ورحل رحلات طويلة ، ثم دعي إلى القسطنطينية وتوفي بها في 9 آذار، ونقل رفاته سنة 1364ه فدفن في بلده ، من آثاره : تاريخ الأفغان ؛ ينظر : خير الدين الزركلي – الأعلام – ج : 2 – ص : 5 ؛ عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين – ج : 1 – ص : 502 .

[2]–كمال عجالي – الفكر الإصلاحي في الجزائر– ص :37–38 .

بينما كان همُّ أنصار النهضة ينصرف إلى تعويض ما حدث من تأخر في العالم الإسلامي من الناحية الاجتماعية والثقافية .

"وهؤلاء فئة من الإصلاحيين كانت رؤيتها تقوم على الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح والإنفتاح على العالم المعاصر- دون الذوبان فيه - والثبات على الأهداف والمرونة في الوسائل والتشديد في الأصول والتيسير في الفروع ، وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بالانفتاح الحضاري".[1]

ونعني بالانفتاح الحضاري: الإستفادة من المعطيات الحضارية والغربية باقتباس علوم الطبيعة وعلوم التمدن المدني والعلمي مثل : علوم الزراعة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والفلك وعلم الجغرافيا والبحار والملاحة وما إلى ذلك مما يتصل بعلوم المادة وظواهرها[2].

المطلب الثالث: موقع محمد الخضر حسين من هذه التيارات

لقد عايش محمد الخضر حسين هذه الإتجاهات ورأى ذلك الخلاف الشديد بين الإصلاحيين والمحافظين خصوصا بعد زيارة الشيخ محمد عبده تونس في رجب 1321هـ سبتمبر 1903م حيث اهتزت لِمَقْدَمِه أندية العلم والأدب والإصلاح ورحب به علماء البلاد كما التقى به المنتقدون عليه واشتد الجدال بينه وبينهم مع مراعاة تعظيمه .

وكان من أنصار هذا الإتجاه ورواده من التونسيين الشيخ سالم بوحاجب وهو أحد شيوخ محمد الخضر حسين وكان لسانَهم المعبر عن نظرياتهم- مجلةُ المنار- المصرية لصاحبها محمد رشيد رضا .

[1]- محمد زرمان - الانفتاح الحضاري ومكانته في نظرية التفسير الإسلامي عند الشيخ البشير الإبراهيمي - مجلة الموافقات - عدد : 5 - جوان 1996 - ص : 136 .

[2]- المرجع نفسه - ص: 136 .

ويقابل هذا الإتجاه المحافظون الذين تزعمهم الشيخ محمد النجار[1] المفتي المالكي وهو أيضا من شيوخ محمد الخضر حسين وقد سعى هؤلاء إلى اصدار مجلة تعبر عن نظرياتهم فلجأوا إلى محمد الخضر حسين وساعدوه في إنشاء مجلة " السعادة العظمى " وكانت أغلب مقالاتها من تحرير محمد الخضر حسين ، غير أن هذه المجلة لاقت معارضة شديدة من طرف المحافظين أنفسهم إثر صدور أول عدد منها لأن صاحبها يدعو إلى فتح باب الإجتهاد في الدين .

إن محمد الخضر حسين لم يكن مناصرا للمحافظين في كل شيء ولا مخالفا للإصلاحيين في كل شيء ، لقد كان يوافق المحافظين في ضرورة التمسك بما جاء به السلف الصالح من نصوص وتعاليم ، وكان يخالفهم في فتح باب الإجتهاد والإستفادة من ذلك حتى تتمكن الشريعة الإسلامية من مسايرة العصر ، وتستجيب لحاجيات المدنية الحديثة وهذا ما ظهر جليا في مواطن عديدة من مؤلفاته وخاصة في كتابه : رسائل الإصلاح وقد شجعه على هذا الموقف قرينه وصديقه محمد الطاهر بن عاشور وشيخه سالم بوحاجب .

وكان يرى رأي الإصلاحيين في أسلوب إصلاح المجتمع الذي يعتمد على التعليم والتربية ومكافحة البدع .حيث أظهر هذين التوجهين بقوله : " نود من صميم قلوبنا أن تكون نهضتنا المدنية راسخة البناء رائعة الطلاء محمودة العاقبة ، ولا يرسخ بناؤها ويروع طلاؤها وتحمد عاقبتها إلا أن تكون موصولة بنظم الدين مصبوغة بآدابه "[2].

---

[1]- محمد بن عثمان بن محمد النجار ، يتصل نسبه بالشيخ عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني ، القيرواني الأصل ، التونسي الدار ، ولد في 15شعبان بتونس في (1255هـ-1839م)وبها نشأ وتعلم ، فأخذ عن والده القرآن ومبادئ العلوم التحق بجامع الزيتونة سنة 1270هـ-1854م ، أخذ عن أعلامه مثل محمد النيفر ، عبد الله الدراجي الجزائري ، علي العفيف ، عمر بن الشيخ ، سالم بوحاجب ، أُنتخب مدرسا فأقرأ الأصول ، الفقه ، التفسير، والبلاغة والمنطق ، تولى منصب الإفتاء في 12صفر عام 1312هـ-1901م.

له مؤلفات كثيرة منها : حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع ، حاشية على تفسير البيضاوي ، تقريرات على شرح المطول .... أخذ عنه جمع كبير منهم : محمد الخضر حسين ، محمد مخلوف صاحب شجرة النور الزكية .

توفي في (1331هـ-1913م) ينظر ترجمته : تراجم المؤلفين التونسيين – ج :5 - ص: 16-17؛ محمد الخضر حسين - تونس وجامع الزيتونة - سورية - دمشق - دار النوادر - ط :1- 1431 هـ -2010م – ص : 120 – 121 .

[2]- محمد الخضر حسين- رسائل الإصلاح- سورية- دمشق – دار النوادر– ط :1- 1431 هـ- 2010م- ص: 116

وخلاصة القول : "إن محمد الخضر حسين كان من دعاة الإصلاح الديني والإجتماعي البارزين إلا أنه كان متميز الشخصية فلم يجار المحافظين في آرائهم ومواقفهم ، ولم يخالف الإصلاحيين في كل ما أتوا به من نظريات فأخذ بعض الشيء من أولئك وهؤلاء مما جعل " مجلة السعادة العظمى " مركزا للحركة الفكرية وقوة توجيه متصلة بجميع أهل الثقافة العربية يجتمع تحتها شقان متباعدان في صعيد الإحترام وحسن الأدب والتجرد وجعل صاحبها بحكم هدوء طبعه وتوازن مزاجه وقوة ثقافته من –حزب المصلحين المعتدلين – كما وصفه صاحب المنار وكذا محمد الطاهر بن عاشور"[1] .

ولما انتقل الشيخ محمد الخضر حسين إلى المشرق بقي على رسالة الإصلاح بل وسع من دائرته وتعدى الإصلاح الديني الاجتماعي إلى الإصلاح السياسي حيث تقلد منصب محرر عربي بوزارة الحربية التركية خلال الحرب العالمية الأولى ، كما قام ببعض المهمات السياسية بألمانيا ، منها الإتصال بأسرى الحرب المغاربة وتوجيههم للمشاركة في تنظيم ثورة مسلحة في شمال إفريقيا ضد الإستعمار الفرنسي .

أما في القاهرة فقد قام بتأسيس "رابطة الدفاع عن شمال إفريقيا" التي ساهمت مساهمة فعالة في التعريف بقضايا المغرب العربي وبأبطاله وزعمائه الوطنيين ، وكانت هذه الرابطة أكبر سند للجزائر والمغرب بالخارج وقد حفظ محمد الخضر ود الجزائر ولم ينس أنه من "طولقة " في جنوب الجزائر وكان وثيق الصلة بأقاربه في أنحاء الجزائر وتونس .

فمجلة " الهداية الإسلامية" التي أسسها كانت تعتني بأخبار المغرب الكبير وقضاياه وقد صفّق كثيرا للثورة الجزائرية وآزرها وإن كان توفي أثناءها .

وقد تصدى لبدعة فصل الدين عن السياسة التي نادى بها بعض الذين لم يتذوقوا روح الإسلام ولم يغوصوا في أسرار أحكامه أو من سخّروا أنفسهم لخدمة الغرب أو من لهم حقد دفين على هذا الدين فراحوا يكيدون له من داخله ، وكان من أبرز الذين ظهروا في هذه الفترة منادين

[1]–محمد مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره – تونس – الدار التونسية – ط :1 – 1974 – ص : 223 .

بهذه الفكرة "عليُّ عبد الرّازق " في كتابه " الإسلام وأصول الحكم" الذي أوضح فيه أن الخلافة ليست من الدين الإسلامي في شيء " بل إنه نسب لابن خلدون —دون بينة – هذا القول.

لقد انبرى محمد الخضر للرد على هذا الكتاب فقرة فقرة حتى أتى عليه كلّه يقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل في كتابه :"نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم "

"لقد كان الشيخ الجليل من أولئك القلة الذين لا يجود بهم الدهر إلاّ نادرا ؛ كان في عمله الدائب كأنما يستشعر دائما أنه لم يُخلَق لنفسه وإنما للإسلام ؛ وأن الروح التي تخفق بين جنبيه ليست شيئا آخر غير روح الإسلام التي يجب أن تظل خفاقة في عالمه الذي يعيش فيه ؛ ولذا فقد كان يلتمس في الدعوة إلى الحق والثورة على الباطل ، وإنارة سبل الإسلام ، غذاء حياته وراحة نفسه ، تماما كأي شخص يبحث عن هذه الراحة في لقمة الطعام وجرعة الشراب وأسباب الدنيا ... ولم يكن ليشفي غُلَةَ نفسه أن يخدم الإسلام من الطريق التي يسلكها معظم أمثاله من الشيوخ والعلماء فقط فشق أمامه كل طرق الفكر والفنون وجندها كتلة واحدة مجتمعة لخدمة الإسلام والعالم الإسلامي؛ لقد خدم الإسلام أديبا لامعا ، وجاهد في سبيله مناضلا قويا ، وتصدى لنصرته عالما من أفذاذ علماء التشريع وأصوله ، وكان أروعَ قرين له في ذلك إخلاصُه القويُّ الغريبَ"[1] .

لقد كان من أجَلّ أعمال محمد الخضر حسين في باب الإصلاح رسائله التي سمّاها: "رسائل الإصلاح" والتي كانت مجموعة مقالات هادفة وكانت عناوينها تشعر بمدى معالجتها لمشاكل المجتمع وقضايا الأمة ومن العناوين البارزة فيها :(الإلحاد أسبابه، طبائعه — مفاسد البغاء —كلمة في المسكرات – القضاء العادل —ضلالة فصل الدين عن السياسة — محاكاة المسلمين للأجانب– الرفق بالحيوان .....) .

[1]– البوطي :محمد سعيد رمضان – من الفكر والقلب – ص :241 .

لقد لاقت هذه الرسائل قبولا وثناءً لدى الخاصة والعامة وممن استحسنوا هذه الرسائل وأبدوا إعجابهم بها الشيخ أحمد الشرباصي[1] فقد عبر عن أسلوب محمد الخضر بقوله :"والشيخ محمد الخضر حسين رجل أهم ما يتصف به الهدوء والإتزان والعمق فهو يفكر طويلا ، ويستقصي في بحثه ، ويستوعب ، ويدير الفكرة في ذهنه أياما ، ويأخذ لها زادها من إحساسه ومعارفه ، ومطالعاته واستنتاجه ، ثم إذا جلس ليكتب كتب في هدوء وأناة ،يزن لفظه قبل أن يخطه ، ويتدبر عبارته قبل أن يصوغها ،فإذا ما جئت لتقرأ ما كتب ، أعجبك أن ترى عقلا واسعا نيرا ، وتفكيرا عميقا سليما ، ونظرة بعيدة صحيحة ، وأسلوبا رزينا محكما "[2] .

إن هذا إعجاب من رجل عاصر محمد الخضر حسين وقرأ تلك الرسائل قراءة متبصر وفاحص وناقد بل إن كثيرا من أهل العلم كانوا يرونها من الرسائل التي ينبغي أن تُرَبِّى عليها الناشئة وتُحَثَّ على قراءتها ، والتبصر فيها فهي مصباح تستضاء به في هذه الحياة

ثم إن الشيخ الشرباصي عرض لمضمون هذه الرسائل بقوله : " وسيرى المطالع لكتاب "رسائل الإصلاح " أنه ثمرة لجهاد علمي طويل ، بذل فيه صاحبه ما بذل من وقته وجهده وتفكيره ، وأنت حينما ترى الأستاذ محمد الخضر حسين ، أو تجلس إليه ، تعجب لهذه الشخصية النبيلة التي تفيض خلقا وأدبا ، وتطيل الصمت والسكوت ، ولا تتكلم إلا بقدر ، ولا تنطق إلا بحياء وقد تقول : كيف استطاع ذلك الشيخ الكبير أن يصبر لمتاعب التفكير والتأليف والكتابة

---

[1]- أحمد الشرباصي : ولد بمديرية الدقهلية في 17 نوفمبر1918م الموافق ل 1337هـ ، تخرج من كلية اللغة العربية سنة 1362هـ-1943م ، وكان ترتيبه الأول بين المتخرجين ، ثم نال دبلوم الدراسات اللغوية ثم الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية العربية (1386هـ-1967م) شغل عدة مناصب داخل مصر وخارجها ، له مؤلفات عديدة منها: موسوعة أخلاق القرآن ، قصة التفسير ، هكذا يتحدث القرآن ، القصاص في الإسلام .....توفي سنة : 1400هـ-1980م .

الحازمي :إبراهيم بن عبد الله – موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر- وما بعدها – السعودية – الرياض – دار الشريف للنشر والتوزيع- ط :1 – 1419هـ – ص: 508 .

[2]- مقال كتبه أحمد الشرباصي في :"مجلة الهداية الإسلامية " ج5 – ج6 مجلد 15 الصادران في ذي القعدة وذي الحجة 1361هـ . وقد كتب نص المقال ملحقا بكتاب رسائل الإصلاح : ينظر : محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح – ص: 282 وما بعدها .

والطباعة ؟ ولكنك لو علمت أن في هذه الأثواب الرهيبة أسدا إسلاميا طالما ضحى وجاهد ، وطالما دعا إلى الله ، وعمل لله ،ولو علمت ما يجب أن تعلمه من تاريخ الخضر حسين ، لأدركت أن وراء هذا الهدوء ثورة ، وأن هذا الشخص يحكمه عقل جبار وتزينه روح مؤمنة لا تعرف هوادة ولا لينا ، ولا راحة في سبيل العمل للعلم والدين"[1] .

[1] – محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح – ص : 285 .

المبحث الثاني : مجالات الإصلاح في فكر محمد الخضر حسين

المطلب الأول : التربية والتعليم

إن الناظر في ما تركه محمد الخضر حسين من إرث فكري يرى أنه تناول الكثير من المجالات وحاول أن يقوّمها بما اهتدى إليه ، وبما رزقه الله من علم وفهم وكان لميدان التربية والتعليم نصيبه من هذه العناية يستوي في ذلك ما كان يتعلق بمدارس التعليم على اختلاف أطوارها أو ما كان يتعلق بالتعليم الأزهري فهو أحد الشيوخ الذين درّسوا في كبريات الجامعات آنذاك : (الزيتونة والأزهر) .

بل إنه شرف بمشيخة الأزهر مدة سنتين ، فصرف وقته وجهده لإصلاح التعليم فيه سواء بمقالاته أو بأحواله التي كانت معبرا عمّا ينبغي أن يكون عليه العالِم أو المتعلم وهذه شهادة أحد الذين رأوا طريقته في إصلاح التعليم الأزهري [1] حيث يقول: "وكانت المرحلة الثانية من حياته الدائبة المجاهدة هي تدريسه في كلية الشريعة بالأزهر، كان رحمه الله يحاول جاهدا أن يدخل إلى قلوب طلابه مع العلم رُوحَه ، وكان يجاهد أن يلصق الوسائل بالغايات لكي لا يقف الأزهريون بعد تخرجهم في نهاية الوسائل ودون الغايات وإذا بهم أعضاء أشلاء ، لهم صورة الثمرة أمام الأبصار ، وليس فيهم حقيقتها وطعمها؛ وكان يأبى أن يوقع على الساعة التي يدرسها إلا إذا امتلأت من أول دقيقة فيها إلى آخر لحظة بالتعليم والإفادة ، ومعنى ذلك أن الساعات التي كانت تذهب ببعضها فوضى الطلاّب بسبب بعض الشؤون العامة أو الخاصة لم يكن يرضى أن يأخذ عليها أيَّ أجر ثم عينته الدولة بعد ذلك شيخا للأزهر ، فضرب أكبر مثل للتاريخ بالإخلاص والتفاني في العمل لمصلحة الأزهر والإسلام ، وراح يضع المشاريع الإصلاحية لنهضته وتقوية دعائمه "[2].

---

[1]– محمد سعيد رمضان البوطي : وذلك في مقال كتبه بعنوان :"عالم فذ ومجاهد من الرعيل الأول " ، كان بمناسبة وفاة محمد الخضر حسين سنة 1958م . ينظر المقال في كتابه: من الفكر والقلب ص 241 وما بعدها .

[2] – محمد سعيد رمضان البوطي – من الفكر والقلب – ص : 242 .

ومن هنا كان يدعو إلى إصلاح المعاهد الأزهرية وانفتاحها على مختلف العلوم حتى يواكب الأزهر زمانه وحتى يكون المتخرج من الأزهر واعيا بمتطلبات زمانه قادرا على الإجابة عمّا يقتضيه عصره وهذا أمر يحتاجه طلبة العلم الشرعي وهي مشكلة المعاهد والجامعات الإسلامية في العصر الحديث. يقول محمد الخضر حسين :"الغرض من المعاهد الدينية : درس العلوم الإسلامية ، والعلوم العربية وما يتصل بها من نحو : المنطق والفلسفة والتاريخ ، ثم ما تدعو إليه الحاجة من العلوم والفنون الأخرى بمقدار، وإذا سارت دراسة هذه العلوم على طريقة منتظمة ، وأسلوب موزون ، كان في وسع هذه المعاهد أن تخرج لنا رجالا للقضاء ، وأساتذة للغة العربية وآدابها ، وكان في وسعها أن تخرج لنا رجالا يقومون بجانب من إدارة شؤون الأمة ، كما يكون في وسعها أن تُخرج للناس مرشدين إلى الآداب الفاضلة ، ودعاةً إلى الدين الحنيف".[1]

أمّا في مجال التعليم فإنه انتقد بشدة وزارة المعارف في مصر وذلك بتهميشها وعدم مبالاتها بالتعليم الديني في مدارس التعليم وربط ما آلت إليه أجيال المتعلمين –ذكورا وإناثا – من بعد عن تعاليم الدين وما صاحب ذلك من سلوكات ومعاملات ومظاهر غريبة عن تعاليم الإسلام ، بل غريبة حتى عن التقاليد التي توارثتها الأجيال السابقة مما جعل الشيخ يتخوف كثيرا على مستقبل الأجيال كما أنه عاب على المتعلمين معرفتهم بتاريخ "نابليون" وعدم إدراكهم ومعرفتهم لتاريخ نبيهم وسيرة عظماء الإسلام . ولذلك جمع جملة من المطالب التي تتعلق بذلك ومنها :

- **1– اعتبار التربية الإسلامية مادة أساسية** : حيث يقول :"وهل ترضى وزارة مصرية دينها الرسمي هو الإسلام ، ودين الكثرة الغامرة من رعاياها هو الإسلام ، ولديها الأزهر قبلة الأقطار الإسلامية كافة في علوم الإسلام ؛ نقول هل ترضى وزارة هذا شأنها أن يكون الدين الإسلامي في مدارسها مادة إضافية ، مثله مثل الألعاب الرياضية .

[1]– محمد الخضر حسين – الهداية الإسلامية – سورية– دمشق – دار النوادر – ط:1 – 1431 هـ -2010م – ص: 160-161 .

ثم هل ترضى هذه الوزارة أن يفهم عنها أن مادة الدين في نظرها ليست مهمة ، وأنه لا قيمة لها في نجاح ، ولا وزن لها في نتيجة ؟".[1]

- **2- الدعوة إلى فصل الجنسين** : فقد عاب على الوزارة إقرارها لاختلاط الجنسين خاصة في المراحل العالية كالجامعة ، حيث قال :"ونوجه نظر وزارة المعارف إلى أن اختلاط الجنسين في مرحلة التعليم العالي مناف لآداب الإسلام وتقاليده من ناحية ومؤد للخطر من ناحية أخرى ، وإذا كان التعليم الثانوي قد فصل فيه الجنسان ، فأحرى بالتعليم العالي أن يفصل فيه الجنسان كذلك "[2].
- **3- تنويع ثقافة التلميذ وتنويع مداركه** : وذلك بتنويع المواد التي يتلقاها التلميذ وقد دعا إلى أن يكون في كتاب الديانة باب واسع لعلاج الشبهات التي تطرأ على التلاميذ في دينهم ، وباب آخر لبيان البدع والخرافات التي يتوهم أنها من الإسلام حتى يعلموا أن الإسلام بَرِيء من كل بدعة .

ودعا إلى أن يُعْنَى بدراسة تاريخ عظماء الإسلام وعظيماته

"فمؤلفات التاريخ في المدارس آنذاك تقدم إلى أولادنا سيرة المشهورين من الأجانب في أسلوب فياض رائع، وبلغة جذابة ممتعة، بينما هي لا تتكلم عن عظماء الإسلام إلا لماما في ثنايا التاريخ العام ، وبلغة قاصرة جافة، لا تستهوي الشخص ، ولا تمتع النفس ، ولا تثير في الطالب ما تستحقه من الإعجاب والإكبار".[3]

[1]- محمد الخضر حسين - الدعوة إلى الإصلاح - سورية- دمشق - دار النوادر – ط :1 - 1431 هـ - 2010م - ص: 204 .

[2] - المصدر نفسه – ص: 208-209 .

[3]- ينظر :الدعوة إلى الإصلاح - ص 211-212.

- 4 -**إسناد دراسة الإسلام وتاريخه وأبطاله إلى أساتذة مسلمين أخصائيين مؤمنين بعظمة الإسلام** : فمن العبث والعار أن تسند دراسة شيء مما ذكر إلى أساتذة لا يدينون بعظمة الإسلام ، لأن ذلك سيؤذي شعور المسلمين ، وسيجرح كرامتهم ، وفوق ذلك كله فإن فاقد الشيء لا يعطيه[1] .

المطلب الثاني : التصوف والسلوك

تعريف التصوف :

لغة : (تَصَوَّفَ) الرجل وهو (صُوفِيٌّ) من قوم (صُوفِيَّةٍ) كلمة مولدة و (صَافَ) السهم عن الهدف (يَصُوفُ) و (يَصِيفُ) عدل[2]

وفي **اصطلاح أهل العرفان**: تطهير القلب من محبة ما سوى الله، وتزيين الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالأوامر والابتعاد عن النواهي، والمواظبة على سنّة النبي ﷺ وهؤلاء الصوفية هم أهل الحق ، ولكن يوجد قسم منهم على الباطل ممّن يعدّون أنفسهم صوفية وليسوا في الحقيقة منهم، وهو التخلّق بالأخلاق الإلهية وقيل :التصوّف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدّب بالحكمين كمال. وقيل التصوّف مذهب كلّه جدّ فلا يخلطوه بشيء من الهزل مراعاة أنفاسك ؛وقيل الإعراض عن الاعتراض؛ وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى؛ وأصله التفرّغ عن الدنيا. وقيل الصبر تحت الأمر والنهي[3].

---

[1]- الدعوة إلى الإصلاح- ص : 212 .

[2]- الفيومي-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي-لبنان- بيروت- المكتبة العلمية -مادة الصوف -ج:1- ص:352.

[3] -ينظر هذه التعاريف :التهانوي ، محمد علي - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - تحقيق : علي دحروج - لبنان- بيروت - مكتبة لبنان ناشرون - ط :1 - 1996م - ص : 456 - 457 .

وقد حُدّ التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين . مرجعها كله : ((لصدق التوجه إلى الله))[1] .

اشتقاقه : اختلف العلماء في اشتقاق كلمة التصوف على عدة أقوال أجملها صاحب الرسالة القشيرية بقوله: " وليس يشهد لهذا السم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه كاللقب ، فأما قول من قال إنه الصوف، ولهذا يقال : تصوَّف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصوا بلُبس الصوف ، ومن قال : إنهم منسوبون إلى صُفَّة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ،ومن قال إنه مشتق من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، ومن قال : إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف "[2].

يقول أبو الحسن الندوي عن دور هذا العلم في التزكية والتربية وإسهامه في الإصلاح:"إن هذا العلم هو المبين لعلاقة العبد مع الله وتقوية الصلة به وتقويمها ، وصيانة العبد عن الغفلة المادية ولقد كان يدعى في المصطلح القرآني ب(التزكية) وفي التعبير الحديثي ب(الإحسان) وقد اعتُبرت هذه الشعبة من شعب الدين من مقاصد الشريعة الأربعة التي صرح بها القرآن ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[3]

وقد كانت هذه المهمة العظيمة لإقامة الدين قلبا وقالبا ، وجسما وروحا ، وقانونا وعاطفة ، منوطة بخاتم النبيين ﷺ ثم بخلفائه الراشدين ، والوارثين لميراثهم بحق وجدارة ، وقد قام هؤلاء بتجديد هذا الطب النبوي والحفاظ عليه ، ونقله إلى الأجيال تلو الأجيال ، مثل حفاظهم على

[1]- زروق : أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي البرنسي – قواعد التصوف – ، تحقيق :عبد المجيد خيالي – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط :2 – 1426 هـ -2005م – ص: 21 .

[2]- القشيري : أبو القاسم النيسابوري – الرسالة القشيرية – تحقيق : معروف مصطفى زريق – بيروت –صيدا – المكتبة العصرية 1432 هـ - 2011م- ص: 279-280 .

[3]- الجمعة : 2 .

الشريعة الغراء ، واستمروا يبذلون الجهود في نشر (فقه الباطن) والدعوة إليه ، مع نشر (فقه الظاهر) وأدائه وتبليغه ، وقد كان عملهم هذا بإجمال أكثر منه بالتفصيل ، وعلى أساس الإهتمام بالأصول أكثر منه بالفروع .....ولما نجمت فتن المادية والأمراض الروحية والأدواء النفسية في صور وألوان وفي ثياب النظريات الجديدة ، والفلسفات الوليدة ، قام العلماء بتدوين علم التزكية والإحسان باصطلاح حادث جديد ألا وهو(التصوف)"[1] .

– إن المتتبع لحياة محمد الخضر حسين يرى أنه نشأ في بيئة صوفية فوالده وعائلته كانوا من أتباع الطريقة الرحمانية وتربيته الأولى كانت تربية صوفية على منهاج السنة ولكن هذا كله لم يمنعه من أن يسدي نصائحه وينكر على الممارسات الخاطئة التي كان عليها بعض ادعياء التصوف يقول الإمام ابن باديس :" ولا يخفى أن الأستاذ– (يقصد محمد الخضر حسين) –أبقاه الله – ابنُ أخت العلامة الجليل الشيخ المكي بن عزوز –رحمه الله – وكلاهما من أبناء الطرقية ، ولكن العلم سما بهما إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح ، ولكليهما – أحسن الله جزاءهما – كتابات مما عليه الطرقية اليوم ، تارة بالتصريح وتارة بالتلويح ".[2]

لقد كتب محمد الخضر حسين عدة مقالات تتعلق بهذا الموضوع ففي إحدى المقالات عرض لتاريخ نشأة التصوف افتتحها بالكلام عن عناية الإسلام بموضوع التزكية وتصفية النفس وكذا الإهتمام بجانب الروح والبدن ثم عرَّج على ما كان عليه الصحابة والتابعون من الزهد إلى أن وصل إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري حيث ظهر هذا المصطلح وأصلُ اشتقاقه حيث خلص في الأخير إلى أن الأقرب في تسمية المتصوفة بهذا الاسم يرجع إلى لُبس الصوف حيث

[1]– ينظر : الندوي أبو الحسن – رجال الفكر والدعوة في الإسلام سورية – دمشق– دار القلم – ط2 : 1431 هـ – 2010م – ج :3 – ص :238-239 .

[2]– ابن باديس ، عبد الحميد – مجلة الشهاب –ج : 8 – مجلد 15 – ص: 56 .

قال: " والأقرب أنهم تسموا بالصوفية لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف تجنبا للُبس الفاخر من الثياب"[1]

ثم مهد لما سيقوله عن بعض متصوفة زمانه حيث استدل بكلام لأبي حامد الغزالي يصف المتصوفة في عصره :" متصوفة هذا الزمان -إلا من عصمه الله – اغتروا بالزي والمنطق والهيئة من السماع والرقص ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب "[2].

فلما وصل إلى الكلام عن الطرق الصوفية في وقته كان في غاية الإنصاف حيث ذكر ما للقائمين عليها من الفضل والإستقامة ثم عرج على ما علق الطرق من المحدثات والمخالفات.

يقول :" نحن نعرف أنّ في زعماء هذه الطرق رجالَ علم وفضل ولا ننكر ما يقوم به هؤلاء الفضلاء من إرشاد وتعليم ، ومعرفتنا لهؤلاء الرجال المستقيمين ، لا تمنعنا من أن نلقي على الطرق الصوفية نظرة نبتغي بها أن نكون على بيِّنة من شؤوننا الاجتماعية ، وأن تكون هذه الشؤون في نظام وصفاء ، ولاسيما شأنٌ يلبس على أنه مظهر من مظاهر الدين الحنيف ، فالمسألة خطرة ، وتبعة السكوت عنها غير هينة... فإذا لم ينقل عن السلف – مثلا- أنهم احتفلوا في المساجد بالنفخ في المزامير ، والنقر على الدفوف ، أو أنهم ساروا في الشوارع يحملون الأعلام لغير جهاد

[1] – محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية – سورية – دمشق – دار النوادر – ط :1 – 1431 هـ – 2010م – ص : 91 .

[2]– الغزالي : أبو حامد– إحياء علوم الدين –– لبنان – بيروت– دار الفكر– ط:1 – 1423 هـ –2003م – ج: 3 – ص: 344 .

وإذا لم يرد عن السلف أنهم تحدثوا عن حضرة الخالق عبارات موضوعة لعشق الحسان[1] ومعاقرة الخمور ، علمنا أنّ هذا الصنيع كلَّه إما لهو يشغل عن طاعة الله ، أو باطل يصرف الوجه عن سبيل الله "[2].

ثم يتكلم منتقدا بعضَ من انتسب إلى تلك الطرق لما يصدر عن مقالاتهم من المبالغات كقولهم : " إن الولي إذا انتهى إلى منزلة عليا في رضوان الله ، سقطت عنه التكاليف جملة "[3].

وإذا كان بعض المنتسبين إلى التصوف يسير وراء الأذواق وربما ارتكب بعض المعاصي وتعلل عن ذلك بأن تلك أذواق ، فإن هذه الحجج لا يكون لها قبول إذا لم يكن لها دليل من الشرع يؤيدها قال محمد الخضر :" والذوق عند الصوفية عرفان يقذفه الحق في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره[4] .

[1]- وقد اختلف الناس هل يطلق هذا الاسم في حق الله تعالى فقالت طائفة من الصوفية لا بأس بإطلاقه وذكروا فيه أثرا لا يثبت وفيه :" فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته " وقال جمهور الناس لا يطلق ذلك في حقه سبحانه وتعالى ، فلا يقال إنه يعشق ولا يقال عشقه عبده ثم اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال : أحدها عدم التوقيف بخلاف المحبة ، الثاني : أن العشق إفراط المحبة ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في الشيء ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلا أن يقال أفرط في حبه .

الثالث :أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة المذكورة عاشقة ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى .

ينظر: ابن قيم الجوزية – شمس الدين أبو عبد الله محمد – روضة المحبين ونزهة المشتاقين – لبنان – بيروت – دار النبلاء – ط:2- 1997م- ص: 28 -29 ؛ ابن القيم – مدارج السالكين – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط :1 : ج: 3 – ص :30 بدون سنة طبع .

[2]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية – سورية- دمشق – دار النوادر – ط:1- 1431هـ-2010م – ص: 99-100.

[3]- محمد الخضر حسين – هدى ونور – سورية – دمشق – دار النوادر- ط:1 – 1431هـ- 2010م – ص : 53 .

[4]- محمد الخضر حسين- دراسات في الشريعة الإسلامية – ص 68-69.

ثم ساق محمد الخضر ما قاله أبو سليمان الداراني[1] – وهو من أكابرهم –"إني لتمر بي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين من الكتاب والسنة "

ليعلق على ذلك في الأخير فيقول :"فإذا فعل بعض من ينتمي للصوفية شيئا، وقال إنه عرفان من حق ولم يشهد له كتاب أوسنة ، أو سيرة السلف الصالح ، تركناه جانبا " [2].

وقد أشار محمد الخضر حسين إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[3]حيث قال : " وقد استوفت الآيات الواردة في صفات الرسول منابع الدين أصولا وفروعا فكل رأي في الدين لا يستند إلى ما كان النبي ﷺ يتلوه من الآيات ، ويعلمه من الكتاب والسنة ، أو من الأصول المستمدة منهما على وجه معقول ، فهو رد على صاحبه "[4].

---

[1]–أبو سليمان الداراني : عبد الرحمن بن أحمد السيد القدوة أبوسليمان الداراني العنسي _ بالنون _ أصله واسطي... والداراني نسبة إلى داريا قرية من دمشق . كان سبر الأحوال ليعتبر الأهوال ، فطهر من الإعلال لمداومته على الدؤوب والكلال . مات سنة خمس وعشرين ومائتين أو خمس عشرة وهو الصحيح.

ينظر: أبو نعيم الأصفهاني – حلية الأولياء – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط:1 :1409 هـ – 1988م– ج : 9 – ص: 254 ؛ الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك – الوافي بالوفيات – تحقيق : أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى – لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي – ط: 1 :1420 هـ –2000م – ج: 18 – ص: 60 .

[2]– محمد الخضر حسين– دراسات في الشريعة الإسلامية – ص 68–69 .

ينظر مزيد من أقوال علماء التصوف الملتزمة بالشرع : المالكي : محمد بن علوي الحسني – مفاهيم يجب أن تصحح – لبنان– بيروت – المكتبة العالمية – ط : 1 – 2002م – ص: 98 –99 .

[3]– البقرة :129 .

[4]– محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل – سورية – دمشق – دار النوادر – ط :1– 1431 هـ –2010م – ص239.

المبحث الثالث : جهود محمد الخضر حسين في التفسير

المطلب الأول : مدارس التفسير في العصر الحديث

لقد أولى العلماءُ التفسيرَ في العصر الحديث عناية كبرى ، واهتموا به اهتماما بليغا ،ويرجع ذلك إلى اهتمامهم الكبير بإصلاح أحوال المجتمع ، والوقوف أمام الأفكار والمذاهب الجاهلية والفرق المنحرفة الهدّامة ، وقد أفرز هذا الوضع اتجاهات عديدة للتفسير ، وأُلِّفت العديد من التفاسير المختلفة ، منها ما هو أصيل أبدع فيه صاحبه ، ومنها ما هو تكرار لما قيل في التفاسير السابقة [1].

ويمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللَّون الأدبي الإجتماعي، ونعنى بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع –الجاف– الذى يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقَّة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الإجتماع، ونُظُم العمران[2]

كما ولّد هذا الواقع عدة مدارس انطلقت من تفسير القرآن في إصلاح المجتمع وسأقتصر على اتجاهين عاصرهما محمد الخضر حسين وكان لهما أثرهما البارز في اضفاء نظرة جديدة على التفسير

أ- مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأثرها في التفسير:

أسّس هذه المدرسة التفسيرية الشيخ محمد عبده الذي يطلق عليه تلاميذه (الأستاذ الإمام)، لقد كان شيخا للأزهر، ومفتيا لمصر وهو تلميذ جمال الدين الأفغاني ، قام بجهود كبيرة في الدعوة

[1] -ينظر : الخالدي : صلاح عبد الفتاح – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين – ص 565 .

[2] – محمد حسين الذهبي– التفسير والمفسرون–مصر– القاهرة– مكتبة وهبة– ط: 7– 2000م – ج2 – ص: 401.

والإصلاح[1] فلقد استطاع كل منهما من خلال المقالات التي تنشر بالصحف المختلفة الربط الموفق بين مرامي النص القرآني ومشكلات المجتمع المعاصر الملحة فتخففوا كثيرا من الالتزام بتسلسل الآيات التي قد تكون مدلولاتها بعيدة عن دائرة مقالاتهم ، وركزوا نظرتهم على تحليل الآيات التي تتعرض لمقالاتهم فحسب للعثور منها على وجهة النظر الإسلامية والمبدإ الإسلامي الذي يحكم المشكلات أو موضوع المقالات وأسسوا بذلك دعائم منهج جديد أثرى الفكر القرآني والتفسير الحديث في مختلف اتجاهاته [2].

وإذا كان هذا اللّون الأدبي الإجتماعي يعتبر في نظرنا عملاً جديداً في التفسير، وابتكاراً يرجع فضله إلى مُفسِّري هذا العصر الحديث، فإنَّا نستطيع أن نقول بحق: إن الفضل في هذا اللَّون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. هذه المدرسة التي قام زعيمها – ورجالها من بعده – بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة.

نعم .. قامت هذه المدرسة بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى. مجهود يُحمد لها الكثير منه، وقد لا يوافقها البعض في بعض ما اتجهت إليه.

وتكمن محاسن هذه المدرسة في :

– أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسِّرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤوِّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً.

كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تُشَوِّه التفسير بما شُوِّهَ به في كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرَّأت الطاعنين عليه!!

[1]– الخالدي : صلاح عبد الفتاح – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين – ص563 .

[2]–محمد إبراهيم شرف– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن– مصر– دار السلام– ط: 1 –1429 هـ –2008م– ص: 155.

كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسِّرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي كان لها أثر سَيِءٌ في تفسير القرآن الكريم!!

ولقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة. أنها لم تخُض في تعيين ما أبهمه القرآن ، ولم تجرؤ على الخوض في الكلام عن الأُمور الغيبية التي لا تُعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات وهذا مبدأ سليم يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون إلى المعقول والعقائد.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون التي زُجَّ بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط.

ثم إن هذه المدرسة، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة، ووفَّقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذى يستطيع أن يساير التطور الزمني والبَشري، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ودفعت ما ورد من شُبَه على القرآن، وفنَّدت ما أُثير حوله من شكوك وأوهام بحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق .. كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ ويستولى على قلبه، ويُحَبب إليه النظر في كتاب الله، ويُرَغبه في الوقوف على معانيه وأسراره[1] .

[1]- محمد حسين الذهبي – التفسير والمفسرون – ج :2 - ص: 401-402 .

ب- مدرسة الإخوان المسلمين :

أسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر الإمام حسن البنا[1] سنة 1928م ، وهي أول حركة اسلامية تؤسس بعد القضاء على الخلافة ويهمنا هنا الإشارة الى أثر هذه الحركة في تفسير القرآن الكريم فقد ظهر مفكرون اسلاميون منتمون لهذه الحركة كانوا أعضاء فيها في فترات من حياتهم ولهم دراسات قرآنية عديدة .

وفي مقدمة المفسرين المنتمين إلى الحركة : سيد قطب[2] وسعيد حوى .

ومن الباحثين الذين أصدروا دراسات قرآنية : محمد الغزالي ، البهي الخولي ، عبد الحليم محمود .....فهؤلاء وأصحاب مدرسة محمد عبده فئة من الإصلاحيين كانت رؤيتها تقوم على الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح والانفتاح على العالم المعاصر دون الذوبان فيه والثبات على الأهداف والمرونة في الوسائل والتشديد في الأصول والتيسير في الفروع.[3]

[1]-حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنّا : ولد سنة (1324 هـ -1906م) ، مؤسس " جمعية الإخوان المسلمين " بمصر ،ومرشدهم وقائدهم وخطيبهم ، مصلح ديني واجتماعي ، وأحد زعماء بعث الروح الإسلامية وإحيائها في العصر الحديث. ولد في المحمودية بمدينة البحيرة ، قرب الإسكندرية ،وتعلم بالرحمانية ودمنهور ،، تخرج سنة 1927 بمدرسة دار العلوم بالقاهرة . اشتغل بالتعليم ،أنشأ جريدة الإخوان المسلمون اليومية ، تعرض للاغتيال مساء 12 فبراير 1949 م . خلّف رسائل كثيرة منها في التفسير " مقدمة في علم التفسير" ينظر: عادل نويهض- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - لبنان – بيروت - مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر- ط 3 : 1409 هـ - 1988م - ج: 1 - ص :137.

[2]- سيد قطب : باحث إسلامي مصري . من مواليد قرية موشا في أسيوط(1324 هـ -1906م) . تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة ، وعمل في جريدة الأهرام وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة ، عين مدرسا للعربية ، فموظفا في ديوان وزارة المعارف ثم مراقبا فنيا للوزارة ، أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركه ولما عاد انتقد البرامج المصرية كان يراها من وضع الإنجليز ، طالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلامية ، انضم إلى الإخوان المسلمين ، وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم في (1387 هـ -1967م) من آثاره : في ظلال القرآن ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ،التصوير الفني في القرآن ، مشاهد القيامة في القرآن ..... ينظر: الزركلي - الأعلام – ج :3 – ص: 147-148 ؛ عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين – ج :1 - ص: 804 ؛ عادل نويهض - معجم المفسرين – ص: 219 .

[3]- مجلة الموافقات - عدد 5 – جوان 1996 - ص 136 . مقال ل محمد زرمان بعنوان : الانفتاح الحضاري ومكانته في نظرية التفسير الإسلامي عند محمد البشير الإبراهيمي .

المطلب الثاني : إنتاج محمد الخضر حسين وأسانيده في التفسير

أ- إنتاجه في التفسير:

لقد خلف محمد الخضر حسين ميراثا معتبرا في التفسير فهو وإن لم يأت على تفسير القرآن الكريم كله فإنه وقف على آيات كثيرة من كتاب الله وهي التي جمعها

في كتابه : (أسرار التنزيل) وآخر أيضا في كتابه (بلاغة القرآن) كما أننا نجد الكثير من تراثه في التفسير متناثرا في ردوده التي كان يرد بها على أخطاء بعض الكتاب أو بعض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم فقد كان يستعين بالتفسير لأنه الفهم الحقيقي لمراد الله عز وجل من آياته .

وقد جمع تراثه كالآتي :

أسرار التنزيل : وهو معظم تراثه الذي خلفه في التفسير حيث أنه أتى فيه على :

تفسير سورة : (الفاتحة) [1].

وكذلك قام بتفسير القسم الأكبر من سورة : (البقرة) [2]من بدايتها إلى الآية 192

وذلك عند قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [3].

[1]-محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل- ص: 7 .

[2]-المصدر نفسه - ص: 15 وما بعدها .

[3]- البقرة : 193 .

- تفسير الآيات (51-52-53-54) من سورة : آل عمران ، أي من قوله تعالى : ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ .... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿....فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

- تفسير الآية 159 من سورة آل عمران من قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ تفسير الآيات 24-25-26 من سورة الأنفال[1] ابتداء من قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ..... لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

- تفسير الآيات : 62-63-64-65 من سورة يونس [2] من قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ .... إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاًۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ .

تفسير الآيتين 27-28 من سورة الحج

تفسير خمس آيات من سورة (ص) وذلك من قوله تعالى : ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ ... ﴾إلى قوله تعالى : ﴿ ...لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٤﴾﴾ .

هذا مجمل ما فسره محمد الخضر حسين في كتابه (أسرار التنزيل) .

ونجد تراث محمد الخضر حسين في تلك البحوث التفسيرية التي كان يصدرها إما ردا عن شبهة أو تصحيحا لمفهوم أو دفاعا عن ثوابت الإسلام ، ومن ذلك بعض الدروس التي القاها في جامع الأزهر ثم سجلت وأعيد تفريغها بعد ذلك ونشرت في بعض المجلاَّت.

[1]- أسرار التنزيل – ص: 397 وما بعدها .

[2]- المصدر نفسه- ص :407 وما بعدها .

فمن البحوث التفسيرية التي تطرق لها محمد الخضر حسين :

بحث حول قصة أيوب عليه السلام وذلك عند قوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1] .

حيث إنه قدم لهذا البحث بقوله : " اطلعت في إحدى المجلات التي تصدر في القاهرة على مقال تعرض فيه كاتبه لمفسري القرآن الكريم ، وبالغ في نسبتهم إلى التقصير في التفسير ، وساق ما فسروا به قصة أيوب – عليه السلام- مثالا لذلك التقصير ، وأورد وجوها زعم أنها تبطل ما أجمعوا عليه من التفسير ، ثم ذكر تأويلا للقصة ، مدعيا أنه هو الصواب ، ووعد – أي كاتب المقال – بأنه سينسج على هذا المنوال في بيان تقصير المفسرين .

وقد وقفت في هذا المقال على آراء لا تدخل تحت قوانين المنطق ، وأخرى لا تتقبلها بلاغة القرآن ، فأردت تنبيه طلاب العلم لما في تلك الآراء من نشوز ؛ حتى يكونوا على بينة من أمرها"[2].

تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3]. فقد كان من جملة ما مهد به لتفسير هذه الآية :" رأت جمعية الهداية أن تحتفل بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم .....فخطر لي أن أستضئ في حديثي عن عظمة رسول الله ﷺ وهدايته بآيات من الكتاب العزيز ، وسبق لي في التلاوة قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

[1]-الأنبياء : 82-83 .

[2]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – سورية – دمشق- دار النوادر – ط:1 – 1431 هـ -2010م – ص :181 .

[3]- الأحزاب :21 .

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ ، فرأيت في الآية مرعى خصيبا ، ومجالا فسيحا[1].

تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَامَىٰ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾[2] . وذلك عند تناوله لموضوع تعدد الزوجات في الإسلام وكان في هذا الموضوع رادّا على من شذ ففهم الآية أنها تبيح أكثر من أربع نسوة حيث قال :".....وشذّ بعض المبتدعين الذين لا يعتد بآرائهم ، فأباحوا الزيادة على أربع .

وارتكبوا في تأويل قوله تعالى : ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ وجوها أقرب إلى الجهل ، وأشبه بالعبث، ورُبَّ تأويل للقرآن لا يزيد على إنكار القرآن إلا أن أصحابه يسمونه تأويلا"[3].

ثم شرع يفسر الآية التفسير الصحيح لها ويرد على الشبه ويعرج على مسألة زواج رسول الله صلى الله عليه بأكثر من أربع نسوة .

ب– أسانيده في التفسير :

أخذ محمد الخضر حسين الإجازة عن كثير من العلماء في مختلف العلوم والفنون ، ومن أجَلِّ هذه الإجازات إجازة خاله وشيخه محمد المكي بن عزوز –رحمه الله–

حيث قال في بداية الإجازة : إن الإشتغال بالعلم أشرف الأعمال ، وبه يبلغ المرء من سعادة الدارين منتهى الآمال وإقراؤه بلا سند كقتال بلا سلاح ، والأسانيد هي أنساب الكتب ،

[1]– محمد الخضر حسين–محمد رسول الله وخاتم النبيين – سورية – دمشق – دار النوادر – ط1 :1431 هـ –2010م – ص: 105.

[2]–النساء : 3 .

[3]– محمد الخضر حسين – الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان – سورية – دمشق – دار النوادر – ط :1 – 1431 هـ – 2010م – ص: 251 .

ولولا السند لقال من شاء ما شاء ، والسند من خصائص هذه الأمة المحمدية ، وفي الإجازة من المدد والبركة ما هو مشاهد .

وممن تأهل لها وكان أحق بها وأهلها : ابننا الألمعي الماجد ، ذو الخلال الفاخرة والمحامد، الدرّاكة الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد الخضر... فأقول مستعينا بالله :

أجزت الشيخ محمد الخضر المذكور بعلوم المعقول والمنقول من الفنون المتداولة ، والكتب المتناولة ، كما أجازني بذلك شيوخي بأسانيدهم المتصلة بالمؤلفين [1].

ثم ذكر العلوم التي أجازه فيها وذكر أسانيدها .

ومن العلوم التي أجازه فيها تفسير الإمام البيضاوي ، وتفسير الجلالين.

تفسير البيضاوي : قال :" وسندنا للبيضاوي في تفسيره الجليل عن شيخنا العلامة سيدي عمر بن الشيخ التونسي ، عن الشيخ سيدي الشاذلي بن صالح الشريف ، عن شيخ الإسلام سيدي محمد بيرم الثالث ، عن الطاهر في الباطن والظاهر المحبوب سيدي حسن الشريف ، عن العلامة محمد الغرياني ، عن أحمد العمادي المالكي ، عن محمد عقيلة المكي ، عن عبد الله بن سالم البصري ، عن محمد بن سليمان المغربي ، عن علي الأجهوري ، عن السراج عمر الجامي، عن الحافظ السيوطي ، عن محمد المخزومي ، عن تقي الدين بن يحي ، عن أبيه يحي بن شمس الدين الكرماني ، عن القاضي العضد ، عن الشيخ زين الدين ، عن القاضي البيضاوي .

سنده إلى تفسير الجلالين : قال : عن شيخنا الشيخ عمر بن اليزيدي النفطي ، عن عمنا سيدي المدني بن عزوز ، عن الشيخ يوسف الصاوي ، عن الشيخ الأمير الكبير ، عن الصعيدي، عن الشيخ عقيلة ، عن حسن العجيمي ، عن الإمام البابلي ، عن سالم السنهوري ، عن الشمس العلقمي ، عن جلال الدين السيوطي ، وهو مصنف النصف الأول من ذي الجلالين

[1]- علي الرضا الحسيني - الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين - سورية - دمشق- دار النوادر -1431 هـ - 2010م - ص :149-150.

ونصف التفسير الأخير للجلال المحلي ، فبهذا السند نفسه نرويه عن السيوطي ، عن شيخه الجلال المحلي"[1] .

ج –أسانيده العامة :

وقد ذكر عبد الفتاح أبو غدة مجموعة أسانيده ومروياته وشيوخه وكان من جملة الشيوخ الذين أدرجهم في أسانيده : محمد الخضر حسين وقد عرض – في أثناء ذكره للشيخ — إلى مجموعة الشيوخ الذين أخذ عنهم محمد الخضر حسين . حيث قال :

العلاّمة المحقق الفقيه الأصولي اللغوي الأديب الشيخ محمد الخضر بن حسين التونسي شيخ الأزهر. ويروي عن:

1- خاله محمد المكي بن مصطفى بن عزوز التونسي ثم الإسلامبولي عن :

أ- محمد أبو خيضر ، عن أحمد بشارة ، عن الأمير الكبير .

ب- محمد بن الصدِّيق ، عن المدني بن عزوز ، عن مصطفى بن عبد الرحمن الجزائري، عن علي بن الأمين ، عن محمد بن سالم الحفني ، عن محمد الشرنبلالي ، عن البابلي ، وهو عن سالم السنهوري ، عن الغيطي عن زكريا الأنصاري .

ج-أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي ، عن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ النجدي الحنبلي ، عن عبد الرحمن الجبرتي الحنفي ، عن مرتضى الزبيدي .

د- أحمد دحلان بما تقدم من أسانيده.

هـ- محمد الشريف إمام جامع الزيتونة ، عن محمد بن الخوجة الحنفي ، عن محمد بيرم ، عن محمد المحجوب .

2- أبي النجا سالم بن عمر بوحاجب النيلي (1243هـ-1342هـ) ، عن

أ- أبي حفص بن سُودة ، عن محمد صالح الرَّضَوي .

[1]- علي الرضا الحسيني – الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين – ص 155-156 .

ب – محمد بن أحمد بن الخوجة ، عن ابن التهامي الرباطي ، الدُّمْهُوجي ، والأمير الصغير ، والعروسي ، وبيرم الثاني ، وعن أحمد بن المبارك اللمطي ، عن محمد بن أبي السُّعود الفاسي ، عن أبيه ، عن ابن أبي النعين الغساني ، عن أحمد بابا التنبكتي ، عن عمّه محمود ،وهو عن جده ، عن السيوطي .

ويروي أحمد بابا ، عن أبيه ، عن قطب الدين النهروالي ، عن زكريا الأنصاري ، والسنباطي .

ويروي أحمد بابا ، عن أبيه ، عن ابن حجر الهيتمي ، ويوسف الأرميوني بسندهما ، وعن عمه عن ابن غازي ، عن السخاوي ، وعثمان الدِّيَمي ، وابن مرزوق الكفيف .

ويروي الأخير عن ابن حجر ، وعن أبيه ، وهو عن ابن صدِّيق الرسَّام ، والمجد الفيروز أبادي والهيتمي ، وابن الكويك ، والسراج البلقيني، وأبي زرعة العراقي ، وأبيه الزين عبد الرحيم العراقي ، والسراج ابن الملقن ، وابن خلدون المؤرخ وابن عرفة ، ومحمود العيني بما لهم.

وعن جده محمد بن أحمد بن مرزوق ، عن ابن سيد الناس ، وأبي حيان ، والتقي السبكي ومحمد بن جابر الوادِيَاشي .

ويروي ابن أبي النعيم ، عن القصار ، عن البدر الغزِّي ، والنجم الغيطي ، وأحمد بن أحمد السنباطي ، عن جدّه عبد الحق ، ويروي ابن النعيم عن المنجور ، عن سقين ، عن ابن غازي ، وأحمد زرُّوق ، والأخير عن السَّخاوي والديّمي ، وابن طريف الشاوي ، عن ابن أبي المجد ، وروى سقين ، عن القلقشندي ، وزكريا الأنصاري وعبد العزيز بن فهد .

وروى سقين ، عن الونشريسي ،عن ابن مرزوق الكفيف بمالَه .

ج– محمد بيرم الرابع ، عن بدر الدين الحَمَوي ، وابن التِّهامي الرِّباطي ،وأبيه بيرم الثالث ، وجده بيرم الثاني بما لهم ،

3– أبي حفص عمر بن أحمد بن الشيخ :

4– محمد النجار[1]

[1]– أبو غدة : عبد الفتاح – إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات عبد الفتاح – ص 324 وما بعدها .

المطلب الثالث : منابر محمد الخضر حسين في التفسير

نقصد بالمنابر الأماكن والفضاءات التي كان يفسر فيها محمد الخضر حسين كتابَ الله عز وجل :وسنقتصر على ثلاثة أشياء :

أ- المجلاّت والجرائد .

ب-الدروس المسموعة .

ج-الرحلات والمناظرات والمساجلات والمناقشات العلمية .

أ -**المجلات والجرائد** :

لقد كان ظهور الصحافة وما نشأ عنها من جرائد ومجلاّت فرصة لتكوين قنوات تصل بين القارئ والكاتب وقد استغل المسلمون ظهورها فوجهوها الوجهة الصحيحة واستثمروها لشرح الإسلام وقضاياه قال أنور الجندي :" إنَّ الجرائد لها من الفضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيانُ كاتب وقلمُ شاعر إذ هي مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومرآة ذوي الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون إلى حجة الصواب بلا معاناة سَفر أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهي السبب الذي نهض بالغربيين إلى هذا الحد الذي نراه حين اعتاضوا بحرب الأقلام عن حرب المدافع...ولم يزل بين أظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهذا الأمر الجليل (الصحف الإسلامية) ؛ بلادهم ملأى بالجرائد الدينية التي تيسر لدعاة الملة وغيرهم سبيل الدعوة "[1].

ومن هذا المنطلق عكف محمد الخضر حسين على استغلال هذا الميدان لإيصال صوت الإسلام ومعاني القرآن فكتب في الجرائد والمجلات .

ومن المجلات التي كان يكتب فيها :

1- مجلة السعادة العظمى : تعتبر هذه المجلة أول مجلة كتب فيها وقد سبق لنا الإشارة إلى ظروف نشأتها ، صدر العدد الأول من هذه المجلة العربية الأولى بتونس في محرم 1322 هـ-

[1]- أنور الجندي - تاريخ الصحافة الإسلامية - مصر- دار الأنصار –دون طبعة- ص: 6 .

أفريل 1904م . تواصل صدور المجلة إلى شهر جانفي 1905م ،وقد بلغت 21 عددا[1] . وقد حدد محمد الخضر حسين محتوى مجلة :((السعادة العظمى)) ، في العدد الأول الذي حرر جميع صفحاته ويشمل ستة أغراض :

– المقالة الافتتاحية التي تتناول بعض المواضيع الهامة التي تقتضيها المحافظة على حياة مجدنا القديم .

– المباحث العلمية .

– الآداب وينشر في هذا الباب ما يكون مرقاة للتقدم في صناعتي الشعر والكتابة .

–الأخلاق : ويبحث فيه ((كيف ينحرف مزاجها وبماذا يستقيم اعوجاجها)) .

– الأسئلة والاقتراحات .

– مسائل شتى .

وقد كتب في هذه المجلة أبرز العلماء وشيوخ الزيتونة[2] وبالخصوص :الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –صديق الشيخ محمد الخضر المخلص ونصيره المؤازر– والشيخ محمد النجار المفتي المالكي ، والشيخ محمد النخلي.

2– مجلة الهداية الإسلامية : أسس محمد الخضر حسين جمعية الهداية الإسلامية يوم 13 رجب 1346هـ / 06 جانفي 1928م. للقيام بما يرشد إليه الدين الإسلامي الحنيف من علم رفيع وأدب نافع وخلق كريم وكان من بنود هذه الجمعية إصدار مجلة تحمل اسم الجمعية.

ولقد تحقق ذلك فصدر العدد الأول من مجلة الهداية الإسلامية في جمادى الأولى سنة 1347 هـ /أكتوبر 1928م . .....وأصبحت تحتوي على سبعة عشر بابا ، يتناول فيها العلماء والفقهاء في اللغة والدين جميع القضايا التي تتصل بالإسلام والمسلمين مثل : تفسير القرآن وشرح الأحاديث والمقارنات بين الشريعة والقوانين الوضعية ...وكان لهذه الأعمال الجليلة نتائجها المثمرة

[1]– محمد مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره – ص: 137-138.

[2]– المرجع نفسه – ص: 139-140 .

إذ اهتم جميع المثقفين بهذه المجلة ، وابتهج بها القراء المسلمون مما مكنها من القيام بدور كبير في توجيههم وإرشادهم ، وفي إصلاح المجتمع الإسلامي بصورة عامة[1] .

3- مجلة نور الإسلام : صدرت هذه المجلة في محرم سنة 1349 هـ -جوان 1930م ،وقد كتب محمد الخضر حسين افتتاحيتها ، وضح فيها أغراضها الهادفة إلى إظهار حقائق الإسلام ناصعة جلية بعيدة عن كل لَبْس وسوء تأويل ، أما الأبواب التي تحويها المجلة فهي تشبه إلى حد كبير أبواب مجلة " الهداية الإسلامية " ، وفي سنة 1935 م اسندت مسؤولية الإشراف على مجلة نور الإسلام إلى السيد محمد فريد وجدي ، وفي منتصف سنة 1374 هـ -1955م ،أصبح اسمها "مجلة الأزهر" [2].

يقول محمد سعيد رمضان البوطي : " ابتدأت أولى مراحل جهاد – محمد الخضر حسين – على صفحات مجلة الأزهر وقد كان اسمها آنذاك «نور الإسلام» ، وقد كانت صوتا إسلاميا مدويا في شتى أطراف العالم ، يخشع له العدو والصديق ، ويهتز بتأثيره القاصي والداني ، وكانت روح تلك المجلة متمثلة في شيخين عظيمين لا يذكر أحدهما إلا وذكر معه الآخر وهما :

الشيخ يوسف الدجوي[3] ، والشيخ محمد الخضر حسين .

---

[1]- محمد مواعدة - محمد الخضر حسين حياته وآثاره – ص: 102-103 .

[2]- المرجع نفسه – ص: 105 وما بعدها .

[3]-يوسف الدِّجوي : يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي ، المالكي الضرير، عالم ناقد ، مشارك في بعض العلوم. ولد بقرية دجوة من أعمال مديرية القليوبية بمصر سنة (1287هـ-1870م) ،كف بصره في صغره ، وتعلم بالأزهر، وتوفي بعزبة النخل من ضواحي القاهرة في 14 صفر(1365هـ-1946م) ، ودفن في عين شمس . من آثاره : الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف ، مذكرات في الرد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق . ينظر: خير الدين الزركلي - الأعلام – ج: 8 – ص :216-217 ؛عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين –ج:4 – ص:143 ؛ محمد رجب بيومي - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – ج:2 – ص: 143 وما بعدها.

والذي استعرض شيئا من كتابات هذين العظيمين في تلك المجلة يستطيع أن يتخيلهما في وقفتهما المناضلة المكافحة عن حوزة الإسلام وقدسيته ضد قوى متألبة تهدف إلى خدشه والنيل منه "[1] .

ب – الدروس المسجلة : من آثار محمد الخضر حسين في التفسير تلك الدروس التي ألقاها في الأزهر الشريف وكانت هذه سنة متبعة عند الكثير من أهل العلم حين يمرون بالأزهر فقام بتفسير الآيات :

الآية ((123)) من سورة التوبة [2]من قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

الآية 22 من سورة الأنبياء : من قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

الآية 26 من سورة غافر : من قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَن يُظْهِرَ فِى ٱلاَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ .

الآية 68 من سورة (يس) ، من قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

وقام بتفسير الآيات (21-22) من سورة البقرة : من قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

[1]– محمد سعيد رمضان البوطي – من الفكر والقلب – ص: 242 .

[2]– علي الرضا الحسيني – الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين – ص :171 .

وهو درس من دروس التفسير التي كان يلقيها الإمام في دار جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية : ج 12 من المجلد 13 ثم أُلحِق بتفسير محمد الخضر حسين أسرار التنزيل [1] .

هذه الدروس التي ألقاها كانت شفاهية وكانت عناية الشيخ بها كبيرة لما للتفسير الشفاهي من الفوائد العظيمة في الإصلاح يقول أحمد رحماني :"وبهذا نجد التفسير الشفاهي يعيش الواقع ويتصدى لمشكلاته كشفا وتحليلا وتفسيرا ونقدا ثم إصدار أحكام على المشكلات وتقديم نصائح للعلاج "[2]

ج- الرِّحْلات :

لقد طوّف محمد الخضر حسين ببلاد كثيرة طلبا للعلم وتعليما له وسار في الأرض للاطلاع والاعتبار، خرج من تونس إلى الشرق بعد أن سلط عليه الاستعمار سيف الإرهاب ، وأصدر عليه حكما بالموت ، زار الجزائر سنة 1321هـ- 1903م ، ثم عاد إليها في السنة الموالية وقبلها طرابلس ، وفي عام 1330هـ-1912م في الشهر السابع حتى الحادي عشر ، زار خلالها مالطه ، الإسكندرية ، والقاهرة ، ويافا وحيفا ، ودمشق ، وبيروت ، واسطنبول ، ثم هاجر إلى دمشق واستقر بها ، ثم انتهى به المقام في مصر التي أقام بها حتى وفاته .

وتعتبر رحلاته موردا عذبا ومصدرا نفيسا للكثير من الفوائد العلمية وذلك لما كان يقع فيها من المناظرات العلمية والمسامرات ، والمساجلات ، يقول ابن خلدون :"إن الرحلة في طلب العلم ولقاء الأساتذة مزيد كمال من التعلم "[3].

ويهمنا من هذه الرحلات التي قام بها محمد الخضر حسين الفوائدُ التفسيرية.

---

[1]- أسرار التنزيل : ص 361 .

[2]- مجلة الصراط – عدد 4- السنة 2- 1422هـ-2001م-مقال لأحمد رحماني بعنوان دور التفسير الشفهي في الإصلاح- ص40 .

[3]- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد - المقدمة - – تحقيق : عبد الله محمد الدرويش – سورية – دمشق - دار يعرب – ط :1 - 1425 هـ - 2004 م - ج: 2 – ص: 358 .

ففي رحلته الجزائرية بعد أن حضر درسا للشيخ حمدان الونيسي في تفسير

قوله تعالى : ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ البقرة : 105. قال :" وبعد أن تم الدرس ، تقدم إلينا بعض الطلبة الذين سبقت لهم بنا معرفة مسترشدا عن مسائل منها : كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنفال :25 .

وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الأنعام :166 فكان الجواب :أن الله لا يؤاخذ أحدا بزلة أحد وإنما يستحق العقوبة صاحب الذنب ، إلا أن الله فرض على كل مسلم رأى منكرا أن يغيره ، فإذا لم يفعل ما استطاع من تغييره ، وسكت كان عاصيا ، فينخرط مع صاحب الذنب في العقوبة ،أحدهما بفعله والآخر برضاه قال تعالى : ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[1].

فالفتنة في الواقع لا تصيب إلا صاحب الذنب ، كما قال عمر رضي الله عنه :" إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عملوا المنكر جهارا ، استحقوا العقوبة"[2].

رحلته الشرقية: قال اقترح علي بعض التلامذة بالأزهر إقراء درس من التفسير والغرض هو المحافظة على سنة الكثير من أهل العلم حيث يمرون بالأزهر ووقع الاختيار أن يكون موضوع الدرس :قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [3] إلى آخر الآية . وقد دون كل ما ألقاه في هذا المجلس.

[1]-المائدة : 81 .

[2]- محمد الخضر حسين - كتاب الرِّحْلات - سورية - دمشق – دار النوادر - 1431هـ-2010م - ص:32 .

[3]- التوبة :123 .

عرض إلى مسألة المناسبة وخلاف العلماء في ذلك وترجيحه ، ثم ذكر قول البيضاوي في المسألة ، ثم علق على قول البيضاوي ثم عرض إلى البحث في لفظة ((كافّة)) ، وقد جمع في تفسيره المستفيض بين المباحث اللغوية والبلاغية والأصولية والصوفية وعرج على بعض النكت التفسيرية [1].

ومما ذكره في رحلاته قوله: اِقترَح علي بعض طلاب العلوم الدينية إلقاء درس بالجامع الأموي ، فأجبت طلبهم ، وكان موضوع الدرس : تفسير قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُومِنِينَ ٱلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ۝٩ وَأَنَّ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۝١٠﴾[2] .ثم وعد بنشر هذا الدرس فيما بعد[3] .

إن القارئ لرحلات محمد الخضر حسين يرى أن كل مجلس من مجالس الإمام لا يخلو من درس في التفسير فبعضها دوّنه في تلك الرحلات وبعضها أشار إليه فقط ومن أدلة هذا ما ساقه في معرض زيارة أحد المرضى رفقة خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز.

قال : " خرجت ليلة مع فضيلته لزيارة أحد الأصدقاء ، والسبل وعرة ، والمطر يرشح ، فكنت أقتفي أثره وأتمهل في الإنحدار فقال لي : سر على أثري ، وقد قُرِئ قوله تعالى :

[1]- محمد الخضر حسين - الرحلات – سورية – دمشق – دار النوادر – ط:1 – 1431هـ – 2010م – ص: 55 وما بعدها .

[2]- الإسراء : 9-10 .

[3]- الرحلات – ص: 134 .

﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾[1] بسكون الثاء وفتحها ، فقلت يؤخذ من الآية : أن الإنسان يخبر بما يظنه واقعا ، ولا حرج عليه أن يبرز الخبر في صورة القطع ؛ فإن سيدنا موسى-عليه السلام- كان يظن أن القوم في أثره ، وألقى الخبر ، وذلك من غير أن يسنده إلى ظن ، فقال الأستاذ- أي محمد المكي بن عزوز- هذا حسن ورتب عليه قول الفقهاء (واعتُمد البابُ على ظن قوي) "[2].

فهذه هي بعض المظان التي نجد فيها تفسير محمد الخضر حسين ؛ فبعضه مجموع في محل واحد كما هو الحال في كتابه أسرار القرآن وبعض آخر متناثر في آثاره وأعماله تبين من خلالها أن الشيخ محمد الخضر حسين واحد ممن توفرت فيهم آلات التفسير ووسائله يشهد بذلك تراثه الضخم الذي تركه في مختلف العلوم فضلا عن النصيب الذي تركه في التفسير مباشرة وفي مقالاته المختلفة والمتمعن في إنتاج محمد الخضر حسين في التفسير يدرك أهمية منهجه في التفسير واستقلاليته عن التفاسير السابقة والمعاصرة له فقد ساعده على هذا التميز البيئات المختلفة التي تنقل فيها والنشاطات التي مارستها والمنابر التي كان يكتب أو يحاضر أو يعلم فيها (المقالات، الصحف، المجلات).يضاف إلى ذلك العصر الذي عايشه فقد كانت معظم البلاد الإسلامية تحت وطأة الإستعمار، ، وقبل هذا وذاك سقوط الخلافة العثمانية فماهو منهج محمد الخضر حسين الذي اتبعه في تفسيره لآي القرآن ؟ هذا ما سنراه في الفصل الموالي .

[1]- طه :82 .

[2]-محمد الخضر حسين- الرحلات – ص: 114 .

الفصل الثاني

❖ منهج محمد الخضر حسين في التفسير

- **المبحث الأول مصادره في تفسير القرآن:**
- **المبحث الثاني : إعمال محمد الخضر حسين للتفسير بالمأثور**
- **المبحث الثالث :التفسير بالرأي**

المبحث الأول : مصادره في تفسير القرآن:

المطلب الأول: مصادره من التفسير وعلوم القرآن .

أ- مصادره في التفسير:

لقد تنوعت مصادر محمد الخضر حسين في العلوم الإسلامية واللغوية المختلفة وخاصة في التفسير فقد كان اعتماده على تفاسير عدة خاصة تفاسير المتقدمين ومن أبرزهم : تفسير الزمخشري. "الكشاف" وابن العربي في تفسير آيات الاحكام، وكشف المعاني لابن جماعة وتفسير البيضاوي[1] "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" "، و أبو بكر الجصاص[2] في كتاب "الأحكام" .

وطريقته في الإستشهاد بهذه المصادر أنه يذكر المؤلف وكتابه ثم يذكر ما قاله المفسر في معنى الآية .

مثاله : تفسيره لقوله تعالى﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾.

---

[1]- هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي ، الملقب ب(ناصر الدين) فقيه ،أصولي ، مفسر ، له تصانيف كثيرة منها :التفسير، منهاج الأصول ،توفي سنة 685هـ ، وقيل 691هـ .

ينظر: السبكي: تاج الدين عبد الوهاب - طبقات الشافعية الكبرى – لبنان – بيروت - دار المعرفة – ط:2 - ج: 5 - ص : 59 ؛ الإسنوي : جمال الدين عبد الرحيم بن حسن - طبقات الشافعية – لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية – ط: 1 - 1407 هـ - ج :1- ص :136 ؛

أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة - طبقات الشافعية ـــ لبنان – بيروت - عالم الكتب - ط: 1 - 1407هـ - ج: 2 - ص: 172 .

[2]- الجصاص ، أحمد بن علي الرازي أبو بكر ولد سنة : (305 هـ -918م) ، إمام أصحاب الرأي في وقته ، كان مشهورا بالزهد والورع ، من أهل الري . انتقل إلى بغداد سنة 325 هـ ، وتفقه على أبي الحسن الكرخي ، ثم تصدر للتدريس : ترك بغداد مرتين ، مرة إلى الأهواز ، وأخرى إلى نيسابور ، وعاد إلى بغداد سنة 344هـ وأقام بها إلى أن توفي : قال الخطيب البغدادي : انتهت إليه رياسة الحنفية ، ورحل إليه المتفقهة ، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع . من كتبه ((أحكام القرآن)) توفي سنة : (370هـ -981م) ينظر :عادل نويهض - معجم المفسرين - ج :1 - ص 48 .

قال: "أبو بكر الجصاص المتوفى سنة 370 هـ في كتاب "الأحكام" وزعم بعض المتأخرين من غير أهل الفقه أنه لا نسخ في شريعة نبينا ﷺ وأن جميع ما ذكر فيها من النسخ فإن المراد منه نسخ شرائع الأنبياء المتقدمين كالسبت ، والصلاة إلى المشرق".

ثم قال: فارتكب هذا الرجل في الآية المنسوخة والناسخة وفي أحكامها أمورا خرج بها عن أقاويل الأمة مع تعسف المعاني واستكراهها"[1].

وكذا عند استشهاده بقول ابن العربي المالكي كثيرا ما يورد عبارة:" قال أبوبكر بن العربي في تفسيره المسمى "قانون التأويل".

وبرغم أن محمد الخضر لا يغفل عن ذكر المصادر والمراجع التي ينقل عنها إذ تجده في كثير من المقالات يعدد كتب التفسير التي نهل منها والتي ركز عليها في أثناء تفسيره للقرآن الكريم كما في المثال السابق ، لكنه أحيانا يذكر صاحب الكتاب دون الإشارة إلى اسم المفسر لشهرته كقوله: قال صاحب "البحر المحيط" يقصد بذلك أبا حيان الأندلسي؛ وأحيانا يكتفي بذكر اسم المؤلف دون الإشارة إلى اسم الكتاب مثل تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[2].

يقول: قال القاضي أبو بكر بن العربي: قال علماؤنا: "هذا يبطل قول أبي حنيفة – رضي الله عنه – إن ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية منه بالفارسية جائز" [3].

وكذا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[4].

[1]–محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية كريمة – ص: 195 .

[2]– فصلت : 43 .

[3]– محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – ص: 15 .

[4]– الفاتحة :02 .

ثم قال : "وذهب ابن قيم الجوزية في الفرق بين الصفتين إلى أن الرحمن دال على الصفة القائمة بذاته ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم "[1] .

وهكذا يظهر لكل من يتصفح تفسير محمد الخضر حسين واستدلاله أو استشهاده بأقوال المفسرين أنه كثيرا ما ينتهج هذا النهج فيقول مثلا: قال ابن عطية ، قال الرازي، قال البيضاوي قال الآلوسي[2] ...

وأحيانا يكتفي بالإشارة إلى الأمرين معا فيقول جاء في تفسير الآلوسي .

و كثيرا ما نجد محمد الخضر لا يتطرق إلى ذكر اسم المفسر أو المفسرين ولا اسم الكتاب ويكتفي في بعض الأحيان بالإشارة إلى ذلك بالقول : ذهب كثير من المفسرين، "قال المفسرون وفي قول كثير من المفسرين قال جمهور ألمفسرين .

ثم أن المتتبع إلى تعامل محمد الخضر حسين مع أقوال المفسرين الذين سبقوه يرى أنه:

-ينقل بعض المواقف والأفكار ويخالف أحيانا هذه الأفكار فلا يؤيدها.

كقوله :"إن الاستخدام لا يختص بالضمير كما نص عليه الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي" بل يكون بغيره كالإستثناء والعطف، وعليه خرج قوله :"ولا جنبا إلا عابري سبيل" فالمراد في الصلاة معناها الشرعي ووقع عطف "ولا جنبا" باعتبار معناها الجاري وهو المسجد.

- مجرد النقل الحرفي لمواقف مفسرين آخرين موافقا لهم كالبيضاوي وابن العربي والآلوسي.
- الإعتماد على بعض المفسرين لتدعيم مواقف يراها وذلك قصد تدعيم وإثبات توجهاته.

[1] -محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل – ص: 8 .

[2] - محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الآلوسي ، شهاب الدين أبو الثناء : شيخ علماء العراق في عصره ، مفسر محدث ن فقيه أديب لغوي ، مشارك في بعض العلوم ولد سنة : (1217هـ – 1802م) . نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات ، له تصانيف أشهرها " روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، وله :" دقائق التفسير " مخطوط . ينظر ترجمته :معجم المفسرين – ص: 665 ؛ الكتاني : فهرس الفهارس - ج: 1 - ص :97 ؛ الزركلي - الأعلام - ج:8 – ص: 53 ؛ إيضاح المكنون – ج: 1 – ص: 586 ؛ التفسير والمفسرون - ج :1 – ص: 352 .

ب- مصادره في علوم القرآن:

اِعتمد محمد الخضر حسين في مجال علوم القرآن على السيوطي[1] في الإتقان أو ما نقله السيوطي عن الماوردي، وكذا بما نقله ابن القيم في باب أمثال القرآن من كتابه : "أعلام الموقعين".

المطلب الثاني : مصادره في الحديث وعلومه:

إن المتمعن في تفسير محمد الخضر حسين لآي القرآن سواء في كتاب أسرار التنزيل أو بلاغة القرآن أو باقي آثاره يعثر على مصادره من الحديث التي يعتمد عليها.

و أكثر هذه المصادر، صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وموطأ الإمام مالك... وكذا شروح هذه الكتب.

أما **منهجه** في التعامل مع هذه المصادر فإنه يذكر أحيانا المرجع ومؤلفه معا[2] كما في تفسير قوله تعالى: ﴿اجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3]. روى الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ولَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خَصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْأُخْرَى وإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا)[4].

---

[1]-هو :عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان الخضيري الأصل ، الطولوي ، المصري ، الشافعي ، جلال الدين السيوطي عالم مشارك في أنواع العلوم له مؤلفات كثيرة جدا منها : الأشباه والنظائر في قواعد الفقه ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، المزهر، تنوير الحوالك شرح موطإ مالك .
توفي رحمه الله سنة 911هـ . ينظر:نجم الدين محمد بن أحمد الغزي - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة – لبنان – بيروت - دار الآفاق الجديدة - ط: 2 : 1979 - ج:1- ص: 226 ؛ محمد بن علي الشوكاني - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – مصر - القاهرة - دار السعادة - ط: 1 - 1348هـ - 1929م - ج:1- ص : 328 .

[2]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل - ص : 344 .

[3]- البقرة : 185 .

[4]- مسند أحمد بن حنبل - تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين – لبنان – بيروت- مؤسسة الرسالة – ط:1 – 1416 هـ - 1995م - رقم : 11133 - ج: 17- ص: 213-214 .

و أحيانا يذكر الحديث بالمعنى دون الإشارة إلى راويه، ودون ذكر نصه بألفاظه،و في عموم نقله للأحاديث فهو يستشهد بما صح منها وقد تنوعت عباراته في ذلك فتارة يورد قوله: جاء في الروايات الصحيحة، أو يقول : ورد في الصحيحين، أو ورد في الصحيح، صح عن النبي ﷺ . وأحيانا يشير إلى الحديث دون بيان درجته كما أنه يكتفي بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن النبي ﷺ دون ذكر باقي السند وأحيانا يكتفي بذكر المتن دون ذكر الراوي كقوله:ورد في الصحيح (الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)[1].

المطلب الثالث : مصادر محمد الخضر حسين في اللغة .

إن محمد الخضر حسين علم من أعلام اللغة ، يشهد بذلك مصنفاته التي صنفها ومقالاته التي كتبها ، ككتابه "نقض كتاب الشعر الجاهلي" ردّا على طه حسين وكمقاله: "ضمير الغائب في القرآن" وكبحثه الذي تقدم به للدخول إلى جماعة كبار العلماء بعنوان "القياس في اللغة العربية" لأن من شروط الانضمام إلى هذه الجماعة: أن يقدم العالم رسالة جديدة فيها كل جديد.

أما في النحو فإنه يذكر ابن مالك وكتابه "التسهيل" وابن الحاجب في كتابه "الكافيه"؛كما أنه يستدل بقواميس اللغة في شرح بعض الألفاظ فيستدل بقول "صاحب المصباح" ويقصد بذلك (أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي) وصاحب "لسان العرب" ويعني (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي) و "صاحب القاموس" (محمد بن يعقوب الفيروز آبادي) وهو أحيانا لا يصرح بأصحاب هذه الكتب لعلمه أن أصحابها مشهورون[2].

[1]- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- سنن أبي داوود- تحقيق :(شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قره بللي)- - سورية – دمشق – دار الرسالة العالمية-ط:1- 1430 ه -2009م- باب الصبر على المصيبة- رقم : 3124-ج: 5 - ص :42.

[2]- علي الرضا الحسيني- الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي – سورية- دمشق – دار النوادر – ط:1- 1431 ه -2010م .

فعند تحقيقه لمصطلح الأسطورة في قوله تعالى: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ ذكر أقوال المفسرين بأنها ما سطره الأولون ثم عقب على ذلك بأن هذا لا يتنافى مع ما قاله آخرون من أنها الأباطيل والخرافات.

ثم يقول وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نجد صاحب "المصباح" يقول: والأساطير: الأباطيل، وصاحب لسان العرب يقول: الأساطير: الأباطيل، ويقول أيضا كما قال "صاحب القاموس": و"الأساطير أحاديث لا نظام لها" وفي اللسان: "سطر فلان علينا: إذا أتى بأحاديث تشبه الباطل"[1].

ومن هنا فليس بغريب أن تتنوع مصادر محمد الخضر حسين اللغوية في تفسيره لآي القرآن؛ و من أكثر الأسماء التي تداولها في تفسيره لآيات القرآن: ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" وعبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" ، "دلائل الإعجاز" وسيبويه في "الكتاب" والسكاكي في كتابه "المفتاح".

كما كان للشعر حضوره في تفسير محمد الخضر حسين فقد وظفه للإستشهاد على قولٍ ما أو ترجيح قول أو الإستدلال على صحة رأي وكان في تعامله مع الشعر واستدلاله به يشير تارة إلى قائل البيت أو الأبيات كما في تحقيقه رحمه الله لمعنى قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾[2] قال : ....والمعنى اثبتوا على الإسلام واستقيموا على محجته البيضاء حتى يدرككم الموت وأنتم في حال كونكم مسلمين ...كما يقال : مت وأنت شهيد ويستدل على هذا التفسير بأقوال الشعراء وقد استدل على هذا المعنى بقول المتنبي قائلا:

[1] -محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن - ص : 129 - 130 .

[2] - البقرة : 131 .

ومن هذا القبيل قول المتنبي :

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ[1].

وأحيانا يغفل ذكر صاحب الشعر كما في تفسيره لقوله تعالى :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2] قال في خلق اللين : وطبيعة اللين وسماحة الخلق ، لا تنافي مزية الحزم ، والأخذ بالتي هي أشد عندما يقتضي الحال ذلك :

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعُ وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ .

وتمييز موضع اللين من موضع الشدة يرجع إلى ذكاء الإنسان ، وإدراكه لطبائع الأشخاص الذين ينالونه بمكروه[3] .

وقد استدل محمد الخضر حسين على قَسَمِ القرآن بعمر النبي ﷺ الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[4] بما ورد في الشعر العربي الجاهلي حيث قال: والقسم بالعمر قد ورد في الشعر الجاهلي ؛ كما قال طَرَفَةُ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ[5]

---

[1]- المتنبي - أبو الطيب أحمد بن الحسين - ديوان المتنبي - لبنان - بيروت - دار بيروت للطباعة والنشر- ط:1 - 1403ه - 1983م - ص 21 = والبنود هي : الأعلام الكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها . يقول إما أن تعيش عزيزا ممتنعا من الأعداء ، أو تموت موت الكرام في الحرب ، لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة المقتول، والقتل خير من العيش في ذل.

ينظر: البرقوقي عبد الرحمن - شرح ديوان المتنبي- لبنان - بيروت- دار الكتاب العربي- 1407 ه -1986م - ج : 2 - ص: 45 .

[2]- آل عمران :159 .

[3]- أسرار التنزيل – ص: 391 .

[4]- الحجر : 72 .

[5]- محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص: 55 .

لقد كان لمحمد الخضر عدة أغراض من وراء سوق الشعر فتارة يستعمله شرحا لبعض كلمات القرآن ومفرداته ومثال ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ قال : والإشراب السقي ، وهو إيصال مائع إلى الجوف عن طريق الفم ، واستعمل على وجه التجوز في خلط لون بلون ؛ كأن أحد اللونين سقى الآخر ، فقالوا بياض مشرب بحمرة ، وقالوا أشرب قلبه حب كذا : إذا خالط حبه قلبه:

إِذَا مَا الْقَلْبُ أُشْرِبَ حُبَّ شَيْءٍ فَلَا تَأْمَلْ لَهُ الدَّهْرَ انْصِرَافَا

ففي جملة :(**أشربوا في قلوبهم العجل**) مضاف محذوف ؛ لدلالة المعنى عليه وهو لفظ حب. والتقدير: حب العجل . والمعنى : أن حب العجل خالطهم حتى خلص إلى قلوبهم كما يخالط الماء أعماق البدن، وحَذْف لفظ الحب من نظم الكلام يشعر بشدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى كأنهم أُشربوا ذات العجل[1] .

وقد يَستعمل الشعر ويستشهد به لعرض النكت التفسيرية التي كان يثيرها العلماء في صورة تساؤل أوفي صورة إجابة وهي طريقة كانت تروج عادة في المسامرات العلمية أو المناظرات يختبر فيها أحد الطرفين الطرف الآخر وقد ساق محمد الخضر حسين جملا من هذه النكت التفسيرية التي صيغت في قالب الشعر.

منها ما قاله السائل الذي سأل الإمام السبكي:

أَسَيِّدَنَا قَاضِي القُضَاةِ وَمَنْ إِذَا بَدَا وَجْهُهُ اسْتَحْيَا لَهُ القَمَرَانِ

رَأَيْتُ كِتَابَ اللَّهِ أَكْبَرَ مُعْجِزٍ لِأَفْضَلِ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلاَنِ

[1]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل – ص:171-172 .

وَلَكِنَّنِي أَبْصَرْتُ فِي الْكَهْف آيَةً[1] بِهَا الفِكْرُ عَنْ طُولِ الزَّمَانِ عَيَانِي

وَمَاهِيَ إِلَّا اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَقَدْ أَرَى اسْتَطْعَمَاهُمْ مِثْلَهُ بِبَيَانِ

فَمَا السِرُّ لِلْقُرَّاءِ فِي وضْعِ ظَاهِرٍ مَكَانَ ضَمِيرٍ؟ إِنَّ ذَاكَ لِشَانِ

وذكر في الجواب : أن أهلها جمع مضاف يفيد العموم ، فيدل على أنه استطعم جميع أهل القرية ، بخلاف ما لو أتى به ضميرا ، فإنه يحتمل أن يكون الإستطعام لمن أتاهم ، وهم سكان أول القرية[2].

[1]- يقصد قوله تعالى : ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوَاْ اَنْ يُّضَيِّفُوهُمَا ﴾ الآية 76 من سورة الكهف .

[2]-محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص: 69 .

المبحث الثاني : إعمال محمد الخضر حسين للتفسير بالمأثور.

توطئة:

معنى التفسير بالمأثور: للتفسير بالمأثور عدة إطلاقات فهو :

التفسير بالمأثور والتفسير النقلي ويذكر التفسير بالمأثور في مقابل التفسير بالرأي ويذكر التفسير النقلي في مقابل التفسير الفعلي والمأثور اسم مفعول بمعنى المنقول وقد ورد في المعجم الوسيط أثر يأثر اثرا: يتبع أثره واثر الحديث نقله ورواه عن غيره ، والأثر السنة الباقية والمأثور الحديث المروي وما ورث الخلف عن السلف.

أثر: أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده يقال إِثر وأثر والجمع الآثار[1] قال تعالى ﴿ثُمَّ فَقَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾[2].

أما في الإصطلاح:" هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله من نصوص كتابه "[3].

أو هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله [4].

قال ابن كثير: اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ،ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح .

---

[1]- الراغب الأصفهاني – مفردات القرآن – ص : 153 .

[2]- الحديد : 26 .

[3]- الذهبي : محمد حسين – التفسير والمفسرون – ج :1 – ص : 112 .

[4]- الزرقاني :محمد عبد العظيم – مناهل العرفان في علوم القرآن – ت : أحمد شمس الدين – لبنان – بيروت – دار لكتب العلمية – ط: 1 – 1424 ه -2003م – ص: 271 .

لقد تكلم محمد الخضر حسين عن أنواع التفسير في مقال له بعنوان "رأي في تفسير القرآن" وبعد أن عرض باختصار لحركة التفسير منذ زمن البعثة والمراحل التي مر بها خلص في الأخير إلى أنَّ مصير التفسير آل إلى صنفين :

تفسير يستند إلى الآثار المنقولة عن السلف ويسمى التفسير بالمأثور وتفسير يستند إلى فهم علماء البلاغة واللغة وغيرهم ويسمى التفسير بالرأي ، وفي كل من الطريقتين علم غزير يقدره المنصف البصير.

ثم عرض إلى بعض المآخذ التي أخذت على الطريقتين .

أما التفسير بالمأثور فقد دخله الخلل من جهة روايات لم يصح إسنادها إلى النبي ﷺ، أو إلى من نسبت له من الصحابة ، ودخل التفسير بالمأثور أشياء أسَرَّها نفر من الإسرائيليين وتلقاها بعض المفسرين دون أن يُعنَوا بتمحيصها والتثبت في صحة روايتها؛وأما التفسير بالرأي فقد يدخله الخلل من جهة مخالفته لما ورد عن النبي عليه السلام في تفسير الآية برواية صحيحة أو من جهة عدم موافقته لما تقتضيه قواعد اللغة العربية أو بلاغتها ذهولا عنها أو لقلة الخبرة بها[1].

وفي ما يلي عرض لاستشهاد واستعمال محمد الخضر حسين للتفسير بنوعيه.

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن

لقد اشترط أهل العلم على من أراد تفسير القرآن الكريم أن ينظر في كتاب الله العزيز ليصل إلى المعنى الصحيح لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، قال ابن تيمية رحمه الله :"إن أَصَح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ،فما أُجمل في مكان فإنه قد فسر في مكان آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر"[2].

[1]-محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص: 29 .

[2]- ابن تيمية :أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم - مقدمة في أصول التفسير- تحقيق : الداني بن منيرآل زهوي - بيروت - صيدا - المكتبة العصرية -ط:1- 1433 ه -2012م – ص: 81 .

وقد أخذ محمد الخضر في تفسيره بهذا المنهج وكان في تعامله مع تفسير القرآن بالقرآن منتهجا النمط الآتي:

أ_ **الاستدلال على معنى كلمة بما ورد من معناها في آيات أخرى** : ومن نماذج ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾- البقرة : 34 .

يقول القرب الدنو ولم يذكر القرآن نوع هذه الشجرة على عادته من عدم التعرض لذكر ما لم يدع المقصود من سوق القصة إلى بيانه ، والمنهي عنه : هو الأكل من ثمار الجنة ، وتعليق النهي بالقرب منها إذ قال "ولا تقربا " لقصد المبالغة في النهي عن الأكل إذ في النهي عن القرب من الشيء قطع لوسيلة التلبس به كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾- الإسراء :32 . فنهى عن القرب من الزنى ، ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه وهي القرب منه[1] .

وكتفسيره لمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُوخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[2].

قال : العدل : الفدية ، وسميت عدلا لأنها تعطى على أنها معادلة للمفدى بها .

والمعنى : لا يؤخذ من أحد بدل من كفره بالغا البدل ما بلغ[3].

كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنَ اَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلاَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ إِفْتَدىٰ بِهِۦٓ ﴾[4].

[1]- أسرار التنزيل – ص:70 .

[2]- البقرة : 47 .

[3] – أسرار التنزيل – ص: 92 .

[4]- آل عمران : 90 .

ب-**تفصيل ما أُجْمِل :**

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ البقرة :135.

ما أنزل إلى إبراهيم : هي الصحف المشار إليها[1] بقوله تعالى :﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ الأعلى : 18-19 .

ج –الإستدلال بالقرآن على تعدد المعاني للكلمة الواحدة:

يظهر جليا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ آل عمران : 52 . والشاهدون: الذين يشهدون بالتوحيد وما لا يتم الواجب إلا به ، أو الأنبياء –عليهم السلام – فإنّهم شهداء على أممهم يوم القيامة.

كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيداً ۝٤١﴾ النساء :41 .

د –دفع الإحتمالات الواردة في معنى آية أو لفظة بما ورد في آيات أخرى:

كتفسير لمعنى النعمة في قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٦﴾ البقرة : 46 .

النعمة: المنعم به، وتجمع على نعم، وقد وردت في القرآن بمعنى النعم ، ولا تحتمل غير هذا المعنى كما قال تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾[2]

[1] – أسرار التنزيل – ص :247 .

[2]– إبراهيم : 36 .

فلفظ العد والإحصاء يُعَيِنُ:أنه أريد بها :النعم الكثيرة والنعمة في هذه الآية التي نحن بصددها يترجح حملها على معنى النعم ؛ إذ لم يقم دليل من الآية على أنه أريد بها نعمة معهودة ثم إن مقام الدعوة إلى الإيمان يقتضي توجيههم إلى أن يذكروا نعم الله عليهم فيما سلف ، ولله عليهم نعم كثيرة عظيمة.[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلذِے يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[2].

أورد قول الزمخشري[3] (تخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه فورد على ما كانوا يعتقدون).

ثم ساق قول جمهور السنة :إن الله لا يضرب المثل إلا بما يقع ثم عقب على قول الزمخشري قائلا : نحن نستبعد أن يمثل الله بأمر يزعمه الناس زعما باطلا فإن التمثيل به دون تنبيه عن بطلانه لا يلائم ما عرف في هداية القرآن .

ومن هنا نبه الأصوليون على قاعدة " أنّ ما يقصد القرآن من قول يتضمن رأيا ولا يعرّفه بتنبيه على بطلانه أو يكون قد نبه عليه من قبل فإنه يعد حقا لا محالة "[4].

---

[1]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل - ص80 .

[2]- البقرة : 274 .

[3]- ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد اليه الرحال في فنونه صنف التصانيف البديعة منها "الكشاف" في تفسير القرءان العزيز " والفائق في تفسير الحديث" ، و"أساس البلاغة.....سافر الى مكة وجاور بها زمانا فأصبح يقال له "جار الله" ولد 27 من شهر رجب سنة 467ه وتوفي سنة 538 .

ينظر: أبو بكر بن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان – تحقيق : إحسان عباس- - لبنان - بيروت - دار صادر- ط:1 - 1397ه- 1977م - ج: 5 - ص : 168 ؛ أحمد بن محمد الأدنروي - طبقات المفسرين - تحقيق : سليمان بن صالح الخزي - السعودية- المدينة المنورة - مكتبة العلوم والحكم - ط : 1 - 1417ه - 1997م - ص :172 .

[4]- بلاغة القرآن – ص: 42 .

وقد استدل بقول الشاطبي في موافقاته "كل حكاية في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها –وهو الأكثر– رد لها أو لا ، فإن وقع رد لها، فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه وإن لم يقع معها رد ، فذلك دليل على صحة المحكي وصدقه".[1]

ومما يلحق بهذه المسألة أي (التفسير بالمأثور).تفسير القرآن بإعتماد **أسباب النزول**: وإن كان هو نفسه عتب على الذين تمسكوا بالروايات الضعيفة وأوهموا كثيرا من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث القرآن الكريم في الإصلاح والهداية.

ومن نماذج استشهاده بأسباب النزول :ما ذكره بصدد تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَاتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[2] . ولما ذكر في الآية السابقة أن الأهلة مواقيت للحج وصل ذلك بإنكار عادة جرى عليها الأنصار في حجهم فقال تعالى " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" هذه العادة كما روي في سبب تنزيل الآية ، أن الأنصار كانوا إذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية لم يدخل من بابه بل كان يدخل بنقب من ظهره ، أو يتخذ سُلَّما يصعد فيه قيل لهم : ليس البر من تحرجكم من إتيان الأبواب من أبوابها"

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴿٩٦﴾﴾[3] قال سبب نزول هذه الآية –كما جاءت به الروايات ؛ وأجمع عليه أهل التفسير أن اليهود في عهد النبي ﷺ قالوا إن جبريل عدونا قالوا هذا عندما سمعوا أن جبريل هو الذي نزل بالوحي على النبي ﷺ .

[1]- بلاغة القرآن – ص: 118.

[2]- البقرة : 188 .

[3]- البقرة : 96 .

ومما يلحق أيضا بالتفسير بالمأثور : تفسير القرآن بالقراءات واعتمادها في بيان معاني القرآن الكريم ؛ ذلك أن بيان أوجه القراءات كثيرا ما يعطي معاني جديدة للكلمة القرآنية ومن الآيات التي بين فيها الشيخ أوجه القراءات .

قوله تعالى ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[1].

الكلمة هي: ﴿ نُنسِهَا﴾ بضم النون وكسر السين من أنسى الشيء ؛ أي جعله منسيا ومعنى نسخ الآية في قوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ : رفع حكمها مع بقائها في نظم القرآن ومعنى إنسائها : رفع الآية من نظم القرآن جملة وفي ننسأها نؤخر إنزالها إلى وقت ثان فلا ننزلها وننزل ما يقوم مقامها في القيام بالمصلحة[2].

هـ–تأييد ما ورد في معنى آية بآيات متعددة:

كتفسير معنى البشرى في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[3] .

قال :" البشرى الخبر السار : والمعنى أنهم يُبشَّرون في الدنيا والآخرة بما يسرهم ولم يذكر المبَشَّر به لتعم البشارة كل ما يوعدون به من فضل ونعيم...، وهناك من فسر البشرى بما جاء في الكتاب والسنة من وعد الله المتقين بالفضل و رفعة المنزلة مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾[4].

---

[1]- البقرة : 105 .

[2]- أسرار التنزيل – ص : 193 .

[3]- يونس : 64 .

[4]- الأحزاب :47 .

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾- التوبة : 21.

وأمّا بشارة الآخرة[1] فأشار إليها في قوله تعالى : ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلاَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنبياء : 102.

و : الترجيح بالأثر.

قد تتوارد الأقوال الكثيرة في المسألة الواحدة وقد يتبادر إلى القارئ أن بين بعض الآيات نوعا من التعارض ولكن العلماء يدفعون كل أنواع التعارض بطرق الدفع المقررة في كتب الأصول ؛ ومن طرق الدفع : أن يلجأ المفسر إلى نص قرآني أو نبوي يدفع به ذلك الإيهام .

لقد استعرض محمد الخضر معاني الخوف والحزن عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾﴾- البقرة : 37 .

قال : وليس ببعيد أن يكون معنى: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ : أنهم بلغوا باستقامة السيرة وفضل التقوى حيث لا يخاف عليهم أحد أن يصيبهم في يوم الجزاء مكروه . ونفى الخوف والحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق ، وظاهره أن المهتدين لا يعتريهم الخوف ولا الحزن في دنياهم ولا في آخرتهم[2] .

[1]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل - ص :410 .

[2]-المصدر نفسه - ص :75 .

ولكن قوله فيما يقابله من جزاء الكافرين :

﴿وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1] ، يرجح أن يكون المراد : نفي الخوف والحزن عنهم في الدار الآخرة ؛ ثم إن الذين يتقون الله حق تقاته قد يأخذهم شيء من الحزن في الدنيا ، وأوضح شاهد على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضار ابنه إبراهيم –عليه السلام–((إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))[2]وقول يعقوب –عليه السلام– في ما قصه الله في القرآن : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3].

ونفي الخوف والحزن عن المهتدين يوم القيامة كناية عن سلامتهم من العذاب وفوزهم بالنعيم الخالد في الجنة ، فتتم المقابلة بين جزاء المهتدين وجزاء الكافرين المشار إليه[4] بقوله : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ .

المطلب الثاني :تفسير القرآن بسنة النبي عليه الصلاة والسلام:

كما أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا فإن السنة تعمل نفس العمل وقد أوحى الله إلى نبيه الكريم: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[5].

---

[1]- البقرة : 38 .

[2]- البخاري : محمد بن اسماعيل – الجامع الصحيح- باب قول النبي ﷺ :"إنا بك لمحزونون" – رقم 1303 – تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر – لبنان – بيروت – دار طوق النجاة – ط1 : 1422هـ ج :2 – ص :83 ؛ مسلم بن الحجاج : أبو الحسن القشيري – صحيح مسلم – ت :محمد فؤاد عبد الباقي – باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه – لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي – رقم 2315 – ج: 4 – ص: 1807 .

[3]- يوسف : 86 .

[4]- محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل – ص:75-76 .

[5]-النحل : 44 .

و لما كانت هذه المهمة موكلة للرسول ﷺ لزمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن ولذا فإن السنة بمنزلة القرآن في الإستدلال وهي أصل في فهم القرآن لقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا يعني أنه لا يمكن الإستغناء عن البيان النبوي لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله من رسوله صلى الله عليه وسلم.[1]

لقد راعى محمد الخضر حسين هذا الجانب واعتمد على السنة في تفسير معاني الألفاظ وتوضيح أحكام القرآن فهو يرى أن حديث رسول الله ﷺكالكتاب في العمل بما يتضمنه من الأوامر والنواهي.

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2].

قال هذه الآية إحدى الشواهد الناطقة بأن النبي ﷺ أحد طرق التشريع ،وأنه كالكتاب في العمل....، وقد ضل قوم السبيل فزعموا أن التشريع مقصور على القرآن الكريم،واطَّرحوا الأحاديث.[3]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسيره لقوله تعالى :

﴿وَلاَ يَاتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُوتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبى﴾[4]قال لقد أمر الشارع من حلف أن يترك فعل الخير كصلة الرحم بأن يفعله .

[1]- مساعد بن سليمان الطيار – فصول في اصول التفسير– السعودية – الرياض – دار ابن الجوزي – ط:3– 1420هـ– 1999م – ص: 27 .

[2]- الأنفال : 24 .

[3]- محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل– ص: 398 .

[4]- النور : 22 .

ونبه في الصحيح على من حلف على شيء ورأى غيره خيرا منه أن يكفر عن يمينه ويفعل ما هو خير[1] قال ﷺ كما في الصحيح:" مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ورأى خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ولْيَفْعَلْ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ".[2]

و في تفسيره لقوله تعالى : ﴿لاَّ يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[3].

فقد بيَّن بعض أوجه الإحسان بحديث (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ)[4]

وقوله ﷺ : (مَنْ قَذَفَ ذِمِيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ بِسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ).[5]

و الملاحِظ لتعامل محمد الخضر حسين مع السنة في تفسيره يرى أن تفسيره مملوء بالأحاديث الصحيحة والحسنة ويكاد يكون شبه خال من الأحاديث الضعيفة .

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾[6].

فسرها بعد ما رد على من أساءُوا التأويل في تفسيرها إنكارا لمعجزة الكلام مهدا فقالوا:

---

[1]-- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – ص: 59.

[2]–رواة الإمام مالك – الموطأ– كتاب النذور والأيمان– باب ما تجب فيه الكفارة من اليمان – تحقيق : نجيب ماجدي – بيروت – صيدا – المكتبة العصرية – 1425هـ–2004 م – رقم 1034 –ص :270 ؛ ومسلم – كتاب الأَيْمان– باب نَدْبِ مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ –رقم 1650 –ج:3_ص:1270 .

[3]– الممتحنة : 08 .

[4]– سنن أبي داود – كتاب: الخراج– باب: في تعشير أهل الذمة– رقم : 3052 .

[5]– أخرجه الطبراني– ج: 16– ص :53 – رقم 57 .

[6]– آل عمران : 48 .

"في دور المهد هو دور الصبا علامة على الجرأة وقوة الإستعداد في الصغر ".

يريد أنه يكلمهم في سن أعتيد فيها الكلام.

فاستشهد لما جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري بما يدل على أن عيسى عليه السلام تكلم قبل أوان الكلام نجد هذا في حديث :(لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلَاثَةٌ)[1] وذكر في أولهم عيسى عليه السلام.[2]

ورد في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ تفسير المغضوب عليهم :"باليهود والضالين بالنصارى"[3].

وقد فسر النبي ﷺ "الإحسان بقوله : "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ".[4]

استشهد به محمد الخضر في تفسير قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[5].

المطلب الثالث :تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. وطريقة التعامل مع الإسرائيليات:

لقد سبق الإشارة إلى معنى التفسير بالمأثور وأشار محمد الخضر حسين إلى هذا فقال "وورد في الصحيح أحاديث عن النبي ﷺ في تفسير بعض الآيات ورويت آثار عن الصحابة في التفسير كذلك وتعاطى التفسير من التابعين طوائف كمجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح.

---

[1]- أخرجه البخاري : بَابُ قَوْلِ اللَّهِ "وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا" - رقم :3446 ، ومسلم :كتاب البر والصلة والأدب- باب تَقْدِيمِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا – ج 8- ص 4 -رقم : 6673 .

[2]- محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص: 151 .

[3]- أسرار التنزيل- ص: 12

[4]- رواه البخاري – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام – رقم :50 - ج: 1 – ص19 ؛ ومسلم- كتاب الإيمان- باب مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالْقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ- رقم : 102 -ج:1-ص:28 .

[5]- البقرة : 111 .

و قد استشهد محمد الخضر حسين بأقوال الصحابة والتابعين في تفسيره.

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[1] ذكر اسم الله : حمده وتقديسه .

و الأيام المعلومات : الأيام العشر عند جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس والحسن البصري.[2]

كذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾[3].

قال وروى ابن جرير في تفسيره إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير المهد "مضجع الصبي في رضاعه " [4] .

فقد كان اعتماد الشيخ كثيرا على أقوال ابن عباس ﷺ"ترجمان القرآن" فها هو يقول عند تفسيره لقوله تعالى " وقد كان فريق منهم " . قال الفريق المشار إليه هم الأحبار الذين حرّفوا التوراة .

وكلام الله :التوراة . وروي هذا الوجه في تفسير الآية عن ابن عباس.[5]

---

[1]- الحج : 26 .

[2]- محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل– ص: 418.

[3] – آل عمران : 46 .

[4]–محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – ص: 151.

[5]–محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل – ص: 139.

– موقفه من الإسرائيليات :

- الإسرائيليات مصطلح أطلقه العلماء على الروايات والأخبار المتعلقة بقصص السابقين والتي لم ترد في مصادرنا الإسلامية المتمثلة في الآيات والأحاديث الصحيحة وهذه الإسرائيليات مأخوذة عن اليهود غالبا[1]، ومن قواعد التفسير بالمأثور: "ألّا تُعتمد الإسرائيليات التي نقلها بعض التابعين وتابعيهم إلا إذا كان في مصادرنا الإسلامية ما يشهد لها ويخص بذلك أحاديث رسول الله [2] ؛ والدليل على عدم اعتماد تلك الإسرائيليات حديث رسول الله منها : ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال :" كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي ﷺ :"لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ولَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ومَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا"[3] . وأجاز رسول الله ﷺ الحديث عن بني إسرائيل .

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال "بلِّغوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".[4]

ومفهوم قوله عليه السلام : " حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ " : حدثوا المسلمين عن قصة بني إسرائيل ، وأخبروا المسلمين بأخطائهم وانحرافاتهم وجرائمهم ، ولا تتحرجوا في ذلك فلستم آثمين في فضحهم وتحذير المسلمين منهم[5] ؛ قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله:" قوله: (وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ) ، أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما

[1]– الخالدي – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين– ص: 218 .

[2]– المرجع نفسه – ص : 218 .

[3]– أخرجه البخاري – بَاب : قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا – رقم : 4485 – ج:6- ص:20 .

[4]– البخاري– باب :ما ذكر عن بني إسرائيل– رقم :3461 – ج:4–ص: 170 .

[5]– الخالدي – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين – ص: 219 .

في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الإعتبار)[1] كما بين محمد الخضر معنى قوله عليه السلام: "لَاتُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ " قال :" والمراد بما لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم : ما يكون محتملا للصدق والكذب ؛ فمن الجائز أن يكون في نفس الأمر صدقا ، فنقع بتكذيبه في حرج ،أو يكون كذبا ، ولا ينبغي لنا أن نتلقى الكذب ، ونضعه بمكان الصدق"[2] . والمتتبع لتفسير محمد الخضر حسين لآي من القرآن الكريم يرى أنه لم يذكر الإسرائيليات إلا قليلا ولم يستشهد بكتب أهل الكتاب إلا بما يؤيد ما ورد في شرعنا.

وذلك ما أورده من تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾[3].

قال: وإنما أمرهم موسى بقتل أنفسهم على وجه التبليغ عن الله إذ مثل هذا الأمر لا يصدر إلا من وحي ولم يحمل هذا المعنى في التوراة التي يتدارسها اليهود إلى اليوم ومما جاء فيها:" دعا موسى إليه من يرجع إلى الرب ، فأجابه بنو لاوي ، فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ، ويقتل بعضهم بعضا ففعلوا"[4]. وكذلك عند وقوفه على قول الله عز وجل :" ﴿ٱلذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرِيةِ وَالإنجِيلِ يَامُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهِيهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[5].

قال :"فالآية صريحة في أن المصطفى عليه الصلاة والسلام مكتوب في التوراة والإنجيل والمراد بكتابته فيها :ذكر مبعثه ودعوته وشيء من نعوته، وهذا المعنى موجود في الكتابين يقينا من هذه البشائر الباقية في التوراة والإنجيل إلى هذا العهد : ما جاء في سفر التثنية من التوراة "أقيم لهم

[1]- ابن حجر - أحمد بن علي العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري – مصر- القاهرة - المكتبة التوقيفية - 2007م - ج :6 - ص: 643 دون طبعة .

[2]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل – ص :248 .

[3]- البقرة :53 .

[4]- محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل - ص: 103.

[5]- الأعراف :157 .

نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به" والنبي المماثل لموسى عليه السلام في الرسالة العظيمة والشريعة المستأنفة هو سيدنا محمد ﷺ ؛ وإخوة بني إسرائيل هم العرب[1].

[1]- محمد الخضر حسين – محمد رسول الله وخاتم النبيين- ص: 55 .

المبحث الثالث : التفسير بالرأي.

تعريفه : هو ما يقابل التفسير المأثور وهو يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالاتها.[1]

وهذا النوع من التفسير يهدف إلى:

1- الكشف والإظهار عن المعاني المعقولة التي تتضمنها النصوص القرآنية.

2- استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية.

3- استخراج مقاصد الآيات القرآنية وتوجيهاتها.

4- بيان موطن العبر في القصص القرآني وإيضاح مواعظه.

5- إظهار عظمة القران في بلاغته المعجزة.[2]

ولقد كان لمحمد الخضر حسين مشاركة واسعة في هذا النوع من التفسير بل كانت هي السمة الغالبة على تفسيره، فهو يعتبر التفسير بالرأي تفسيرا يستند إلى فهم علماء اللغة والبلاغة.[3]

وكان للتفسير بالرأي عند محمد الخضر حسين مظاهر:

المطلب الأول: مظهر استعمال اللغة :

لقد استحوذت اللغة على النصيب الأوفر من تفسير محمد الخضر حسين فقد برزت براعته وقدرته في اللغة بل تعتبر أهم الأسس التي قام عليها وهو بذلك يحقق ما أورده هو نفسه في كتابه "بلاغة القران"، قال: "قال مالك: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"، وتكاد تكون كلمة العلماء مجمعة على أن اللغة العربية أساس لتفسير القرآن الكريم

[1]- خالد عبد الرحمان العلك- أصول التفسير وقواعده- عمان – الأردن – دار النفائس - ص167.

[2]- الرجع نفسه- ص :175.

[3]- محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن- ص : 25 .

قال الإمام الشاطبي: "من أراد أن يفهم القرآن، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة".[1]

ومن هنا كانت اللغة مفتاح تفهم القرآن الكريم لم تستغن عنه الأوائل ولن يستغني عنه الأواخر، وإذا كان الشعر كثيرا ما يستشهد به لتقرير المعاني فان سلف الأمة اعتمدوه كثيرا في التفسير، فقد استعمل العرب في أشعارهم "الثروة اللفظية الهائلة في فنهم الشعري، فكان الشعر الجاهلي فنا مستوفيا أسباب النضج اللغوي والكمال الفني".[2]

روى السيوطي عن ابن الأنباري: أن ابن عباس قال: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه ذلك" وورد في رواية أخرى أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".[3]

ومحمد الخضر حسين ممن آتاهم الله عز وجل مُكنة وملكة في اللغة يشهد بذلك تكوينه ومؤلفاته.

ومن خلاله تفسيره للقرآن الكريم تظهر طريقته في تناول اللغة العربية، وهي كالآتي:

1-بيان المفردات:

فقد اهتم محمد الخضر بإيضاح المفردات القرآنية وبيان أصولها اللغوية العميقة وجذورها.

وفيما يلي بعض الأمثلة في ذلك مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُـزَكِّيهِمْ ﴾

---

[1]- الشاطبي - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي - الموافقات في أصول الشريعة- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية - ط:1- 1422 ه -2001م - ج:2- ص64 .

[2]- خالد عبد الرحمن العك - أصول التفسير وقواعده- لبنان – بيروت – دار النفائس – ط:2- 1406 ه - 1987م- ص:141.

[3]- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن - الإتقان في علوم القران- تحقيق : عبد الرحمن فهمي الزّواوي – مصر – القاهرة- دار الغد الجديد – ط:1 – 1427 ه -2006م - ج:2- ص:47.

يزكيهم: من التزكية وهي التطهير، وتستعمل بمعنى الثناء ومنه زَكَّى الرجل نفسه، إذا وصفها وأثنى عليها ؛ وزكى الشهود إذا عدلهم ووصفهم بأنهم أزكياء.[1]

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾. الصِّبغة في أصل اللغة الحالة التي يقع عليها الصبغ وهو تلوين الشيء كالثوب بلون وأطلقت في الآية بمعنى الإيمان بما ذكر مفصلا في الآية من قبل، لأن الإيمان يتدخل في القلوب تدخل الصبغ في المصبوغ ويظهر أثره على المؤمن كما يظهر أثر الصبغ على ما يصبغ، ويقال تصَبَّغ فلان في الدين: إذا أحسن دينه.[2]

2-العناية بالاشتقاق:

اهتم محمد الخضر حسين بالإشتقاق في تفسيره وذلك لأن معرفة اشتقاق الكلمة يزيد في بيان معناها ويوضحه ومن أمثلة ذلك:

قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ الذلول: من الذل بضم الذال وكسرها، وهو ضد الصعوبة

يقال بقرة ذلول أي: ريضة زالت صعوبتها.[3]

وعند قوله تعالى: ﴿فأزلهما﴾

[1]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل- ص:308.

[2]- المصدر نفسه – ص: 252.

[3]- المصدر نفسه – ص: 131.

أزَلَّ من الزلل وهو عثور القدم وزلقها، ثم استعمل في ارتكاب الخطيئة، كما استعمل في خطأ الرأي مجازا.

ومعنى أزلهما عن الشجرة: أوقعهما في الزلة بسببها.[1]

3- معاني الحروف:

من نماذج ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾﴾[2] ترد لعل في كلام الله مورد التعليل، وهي هنا تعليل لمعنى فهم من قوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة"، وإيضاح هذا: أن بيان حكمة القصاص ينساق منه الذهن إلى معنى "شأنه" أن يذكر في مجاري الإستعمال ولكن طريقة القرآن في الإيجاز جرت على حذف ما تغني القرائن الواضحة عن ذكره، ولا يزيد التصريح به في نظم الكلام حسنا، وهذا المعنى الذي يقع في الذهن وشأنه أن يذكر بعد بيان الحكمة وقبل قوله: "لعلكم تتقون"، يعبر عنه فكتبناه عليكم، أو شرعناه لكم.

والمعنى: ولكم في القصاص حياة فكتبناه عليكم، لتتقوا القتل حذرا من القصاص.[3]

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[4] .

أم بمعنى: بل: وهي تفيد الإنتقال من جملة إلى جملة مع بقاء الجملة الأولى أعني قوله تعالى: "ألم تعلم" بحالها من إفادة التقرير، وتقدر بعد أم همزة الإستفهام للإنكار؛ والخطاب للمسلمين وإخراج الكلام في صورة خطاب الجماعة،يشعر بأن الخطاب في الآية السابقة: "ألم تعلم" موجه

[1]- أسرار التنزيل- ص :70.

[2]- البقرة :178 .

[3]- أسرار التنزيل- ص : 323 .

[4]- البقرة :107 .

في المعنى إلى جماعة المؤمنين، والمعنى لا ينبغي لكم أن تقصدوا إلى سؤال رسولكم مسائل لا تلائم الإيمان الحق كما فعل قوم موسى إذ ألقوا عليه مسائل تدل على عدم رسوخ الإيمان في قلوبهم.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٥﴾﴾- البقرة : 165 .

بهم: باء الملابسة وهي التي يكون بين مجرورها وفاعل الفعل وجهٌ من الملابسة أي: الإتصال ويعبر عنها علماء العربية بباء الحال، لأنها تقع مع مجرورها في الإعراب موقع الحال ، ووجه الملابسة بين أولئك المشركين وتلك الأسباب: انعقادها بينهم في الدنيا وطمعهم في نفعها لهم في الآخرة.[2]

4-الترجيح باللغة :

إن القارئ لتراث محمد الخضر حسين سواء في التفسير أو غيره من الفنون يرى تمكنه وحسن توظيفه للغة العربية بل ودفاعه عنها باستماتة يشهد على هذا رسالته التي تقدم بها ليكون عضوا في هيئة كبار علماء الأزهر والتي عنونها ب"القياس في اللغة " وكذا في رده العلمي على كتاب "في الشعر الجاهلي لطه حسين " وأيضا في تفسيره لآي القرآن الكريم فقد ظهرت اجتهاداته وتوجيهاته وترجيحاته .

ومن ذلك عرضه لمسألة الواو الزائدة في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِّحَتَ أَبْوَٰبُهَا﴾[3]وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[4] قال: ذهب بعض المعْربين للقرآن الكريم إلى أن الواو في قوله : ﴿وَفُتِّحَتَ أَبْوَٰبُهَا﴾ ، وفي قوله : ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ زائدة ، ولكن فريقا ممن يَقدُرون بلاغة القرآن قدرها

[1]- أسرار التنزيل – ص: 196-197.
[2]- المصدر نفسه- ص: 297.
[3]- الزمر :70 .
[4]- الصافات :103-104 .

أنكروا أن يكون في القرآن حرف زائد ، وذهبوا إلى أن الواو في الآيتين عاطفة ، وجعلوا الآية الأولى من قبيل ما حذف فيه جواب إذا.

وجعلوا الآية الثانية من قبيل ما حذف فيه جواب لما ، والتقدير : فلمّا أسلما ، وتلّه للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم ؛ فإن هناك ما لا يوصف من ألطافه تعالى .

وممن أنكروا أن يكون في القرآن حرف زائد صاحب المثل السائر فقال رادا على من قال : إنّ «أن» في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [1] زائدة : إن هذه اللفظة لو كانت زائدة، لكان ذلك قدحا في كلام الله تعالى ، وذلك أنه نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليها ، فلا يكون كلامه معجزا . وممن أنكروا ما أنكره ابن الأثير العلاّمة ابن قيم الجوزية .

وألف كتابا سماه « الفتح المكي» قرر فيه أن ليس في القرآن حرف زائد وبين أن كل لفظة لها فائدة متجددة .

ولما قال أبو عبيدة : إنّ (إذْ) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[2] زائدة ، أنكر عليه المفسرون ، حتى قال الزجاج : هذا اجترام من أبي عبيدة .

ونحن لا نمنع أن يجيء في القرآن شيء من الحروف التي يسميها النحاة : حروف الصلة؛ مثل: إن ، وأن ، وما ،ومن ، والباء ؛ مما شاع استعماله في كلام البلغاء دون أن تدل على معنى من معانيها الخاصة بها ، ونكتفي بالمعنى العام الذي هو التوكيد حتى يبدو لنا منها معنى غير التوكيد ، **ولا نُجيز** لأحد أن يقصد إلى حرف في القرآن من غير هذه الحروف المعهود استعمالها في كلام البلغاء ويحمله على الزيادة ؛ وتخريج الآيات على حذف بعض أجزاء الكلام لظهور معناه ،أيسر من الحكم على بعضها بالزيادة"[3] .

---

[1]- يوسف :96 .

[2]- البقرة : 29 .

[3]- محمد الخضر حسين – دراسات في اللغة العربية – سورية – دمشق – دار النوادر – ط:1 – 1431 هـ -2010م- ص: 117-118 .

المطلب الثاني: المزج بين المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية في المقام الواحد:

الذي يتتبع آثار محمد الخضر حسين وخاصة كتابه أسرار التنزيل يرى طَرْقه للتفسير بطريقة لغوية تدل على تمكنه منها، فهو يستفتح ببيان الأصول اللغوية للكلمة ثم يعربها، وإذا به ينتقل إلى لمحة بلاغية أو نكتة بيانية وهذا لا يطيقه إلا من كان راسخا في اللغة عالما بعلومها.

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِے نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلاَ يُوخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1].

جاء الضمير في قوله: ﴿وَلاَ هُمْ﴾ ضمير جمع وهو عائد على نفس في قوله: "عن نفس"، والنفس مفردة ذلك أن النفس هنا في معنى نفوس وإيضاح هذا أن نفسا نكرة واقعة بعد نفي، أعني "لا" في قوله "لا تجزي" والنكرة إذا وقعت بعد نفي تشمل كل فرد من أفرادها فيكون "نفس" في قوله "عن نفس" متناولة لكل فرد من أفراد النفوس، وبهذا كانت في معنى الجمع وصح أن يعود عليها الضمير المرفوع ليدل على أفراد متعددة .

وقد جرى القرآن على هذا الإستعمال المعروف في علم البيان.[2]

وكذا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[3] قال :" وأما : حرف تصدر به الجملة للتأكيد ، تقول: زيد ذاهب فإذا قصدت تأكيد ذلك، وإفادة أن ذهابه واقع لا محالة، قلت فأما زيد فذاهب والضمير في قوله: ﴿أَنَّه﴾ يعود على المثَل، أو على ضربه المفهوم من قوله: ﴿أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾[4] والحق: خلاف الباطل: وهو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ووجه كون المثل أو ضربه حقا أنه يوضح المبهم ويفصل

[1]- البقرة : 47 .

[2]- أسرار التنزيل، ص92-93.

[3]- البقرة : 25 .

[4]- البقرة :25 .

المجمل، وقال: "أنه الحق" معرفا بأل ولم يقل أنه حق، للمبالغة في حقيقة المثل ومن المعروف في علم البيان أن الخبر قد يؤتى به معرفا بأل، للدلالة على أن المخبر عنه بالغ من الوصف الذي أخبر عنه مرتبة الكمال[1].

المطلب الثالث : مظهر الترجيح بإعمال الرأي والعقل في تفسير محمد الخضر حسين .

أ- **صيغ الترجيح :**

إن المتتبع لتفسير محمد الخضر حسين سواء في كتابه أسرار التنزيل أو باقي الآثار التي استعمل فيها تفسير آيات القرآن يدرك أنه أعمل الكثير من الصيغ الدالة على إعماله للرأي، ومن ذلك :

-صيغة ويصح ، وصح : فبعد أن ساق المعنى المتبادر من فهم الآية : ﴿وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ البقرة :03 ..

وهو أن هذا وصف للمتقين بأنهم يؤمنون بالقرآن وغيره من الكتب السماوية. قال بعد ذلك: **ويصح** أن يراد من الآية : من آمنوا بالكتب المنزلة قبل الإسلام[2] .

-صيغة يجب : التي توحي بإبداء رأيه في المسألة : فقد عرض أقوال العلماء في معنى الإستهزاء في قوله تعالى : ﴿أَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ البقرة : 14 . (...وهذا المعنى لا يليق بجلال الله ، **فيجب** حمل المسند إليه تعالى على معنى يليق بجلاله[3] .

-صيغة أما نحن : ساق هذه الصيغة في معرض رده على صاحب مقالٍ فسر آيات تتعلق بقصة أيوب عليه السلام فكان كثيرا ما يرد عليه بهذه الصيغة .

[1]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل- ص: 53.

[2]-المصدر نفسه : ص:19 .

[3]- المصدر نفسه : ص:32 .

قال: **أما نحن** فنعلم أن المشار إليه هو الماء المعبر عنه بقوله: ﴿ مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤١﴾ ﴾ - ص :41 ، وليس هذا الموضع من المواضع التي يحتاج فيها اسم الإشارة إلى مرجع يتقدم ذكره[1].

-فالمعنى : كثيرا ما يورد هذه الكلمة مبتدئا بها في تفسير الآيات أو مختارا قولا من الأقوال التي يوردها : كقوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ الحج : 26 .

فالمعنى على هذا الوجه من التفسير ليشهدوا منافع لهم ويذبحوا أو ينحروا ما رزقوا من بهيمة الأنعام ذاكرين الله عليها[2] .

-(ونبني ، ونختار ، هذا ظاهر) : هذه أيضا من الصيغ الدالة على إعمال الرأي في التفسير فإننا نراه يحشد الأقوال في معنى لفظة أو آية ثم يوجه القول الذي يراه . وقد يختار من بين الأقوال ما يطمئن إليه :

لقد ذكر الأقوال المفسرة لقوله تعالى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾[3]. ثم قال : **ونبني** على هذا صحة تفسير: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى : آخِذُك وقابضُك ، فإنه تفسير تتقبله اللغة ...إلى أن يقول :....هذا **ما نختاره** في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾...﴿وَرَافِعُكَ﴾ ..**هذا ظاهر** في رفعه بجسده[4].

---

[1]-محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص:199 .

[2]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل – ص : 419 .

[3]- آل عمران : 54 .

[4]-محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل :383 .

ب : الترجيح بالعقل أو بالرأي .

قد يورد محمد الخضر حسين في معنى آية أو لفظة عدة أقوال ثُم يميل إلى ترجيح قول منها وقد يشير إلى أن في المسألة أقوالا عدة دون أن يشير إلى تلك الأقوال وإنما يرجح مباشرة.

فقد ذكر عند تفسيره للكلمات في قوله تعالى : ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1]. القول الراجح في معناها .

قال : والكلمات جمع كلمة ، وهي في الأصل : اللفظ المفرد ، وتطلق بمعنى الكلام ، كما تطلق على نفس المعاني التي تفهم من الألفاظ ؛ نحو : الحكم والإذن ، والأمر والنهي ، فالكلمات في الآية يصح أن تفسر بالأوامر التي كلف الله بها إبراهيم –عليه السلام– وأتى بها على أتم وجه. والقرآن أجمل في ذكر الكلمات ، ولم يرد في تعيينها حديث يجب الوقوف عنده .

ولكن تسمية التكليف بها ابتلاء ، وذكر إبراهيم لها على وجه الثناء ، ينبئ بأنها من الأعمال التي لا ينهض بها إلا ذو عزم يتلقى أوامر ربه بحسن الطاعة [2].

وكذلك دفع التعارض الذي قد يتبادر إلى الذهن وهو يتناول بعض قصص القرآن .

ففي مسألة عصمة الأنبياء ما أشار له القرآن الكريم في قصة آدم ووصف فعله بالمعصية يثير تساؤل المرء عن وجه التوفيق بين نصوص القرآن التي نعتها الله بقوله :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[3] .

[1]- البقرة :123 .

[2]- محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل – ص: 225 .

[3]- النساء :81 .

وقد أجاب محمد الخضر عن هذا التساؤل بقوله : " وقد يتبادر إلى الذهن أن آدم ارتكب ما نهي عنه ارتكاب من يتعمد المخالفة ، فيكون أكله من الشجرة معصية ، وهو من الأنبياء المرسلين؛ والرسلُ معصومون من أن يخالفوا أمر الله .

وجواب هذا أن آدم تعمد الأكل من الشجرة ناسيا النهي عن الأكل منها ، وفعل المنهي عنه على وجه النسيان لا يعد من قبيل المعاصي التي يرتكبها الشخص وهو على ذكر من أنه يرتكب حراما ، وهذه هي التي يستحق صاحبها عقابا أخرويا ، وهي التي عصم الله منها أنبياءه .

وإذا عاتب الله بعض المصطَفَيْن من عباده على ما صدر منهم على وجه النسيان ، فلأن علمهم بالنهي يدعوهم إلى أن يقع النهي من نفوسهم موقع الإهتمام ؛ بحيث يستفظعون مخالفته اِستفظاعا يملأ نفوسهم بالنفور منها ، ويجعلهم على حذر من الوقوع في بلائها.

فالذي وقع من آدم –عليه السلام– هو أنه غفل عن الأخذ بالحزم في استحضار النهي ، وجعله نصب عينيه حتى أدركه النسيان ، ففعل ما نهي عنه غير متعمد للمخالفة[1] .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً ﴿١١٢﴾﴾[2].

فهذا هو المنهج الذي اتبعه محمد الخضر وهو يتناول آيات القرآن بالتفسير حيث كان منهجا متنوعا بين استعمال الأثر والرأي واللغة والعقل .

[1]– محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل– ص: 74 .

[2]– طه :112 .

الفصل الثالث

❖ **ملامح الإصلاح في تفسير محمد الخضر حسين**

- المبحث الأول : ملامح الإصلاح في العقيدة وأصول الدين
- **المبحث الثاني : السياسة والحكم**
- **المبحث الثالث : النظام الإجتماعي**

توطئة :

لقد وضع القرآن الكريم الخطوط الثابتة ، والمبادئ العامة والقواعد الشاملة التي لا تخرج أطوار الإنسان في النهاية عن حدودها ، وترك التطبيق لحدود الزمان ، وبروز الحاجات ، في حدود مبادئه العامة ، وقواعده الشاملة .

والإسلام بهذا الثبات والشمول ، وبهذه المرونة كفل لأحكامه التطبيقية البقاء والنمو والتجدد والصلاحية ، والقدرة على الإصلاح مدى الدهر[1] .

وكما أصلح القرآن الكريم المجتمع الذي نزل فيه وما بعده من المجتمعات المتجددة والتي أخذت بهديه، واستضاءت بنوره ، فهو كفيل بأن يصلح المجتمعات المعاصرة ، ويعالج القضايا المتجددة ، لأنه لا يزال يحمل كل عناصر النمو والتجدد والكفيلة بأن تجعله صالحا للتطبيق في كل مجتمع وإن اختلفت مقوماته قليلا أو كثيرا عن مقومات المجتمع الذي نزل فيه .[2]

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وسيظل المنهج القرآني النبوي على اختلاف الأزمان والأجيال الدواءَ لكل داء ، والحلَ لكل مشكلة ، والعصمةَ من كل ضلال .

وذلك بنص حديث النبي ﷺ :" تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا مَسَكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَةَ نَبِيِّهِ "[3] .

---

[1]- سيد قطب – العدالة الإجتماعية في الإسلام – مصر – القاهرة – دار الشروق – ط:13 – 1413هـ-1993م- ص: 17- 18 .

[2] -المرجع نفسه – ص: 18 .

[3]- الإمام مالك- الموطأ -كتاب القدر – باب النهي عن القول بالقدر- رقم 1662- تحقيق : نجيب ماجدي – بيروت – صيدا – المكتبة العصرية – 1425هـ-2004 م –ص: 502 .

إنه خطاب الله تعالى الأخير إلى البشرية وهو اللبنة الأخيرة في صرح النبوات . وهو النص الذي تكفل الله – سبحانه – بحفظه ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[1] .

وهو الكتاب المهيمن على كل ما سبقه من كتب قال جلّ شأنه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ.. ﴾[2]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

(جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهدا وأمينا ، وحاكما عليها كلها)[3] .

أمّا سيد قطب فإنه تكلم عن مضمون الآية بقوله :(إن القرآن الكريم هو كتاب هذه الرسالة التي جاءت تعرض الإسلام في صورته النهائية الأخيرة ؛ليكون دين البشرية كلها ، ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعا ، ولتهيمن على ما كان قبلها ، وتكون هي المرجع النهائي ، ولتقيم منهج الله لحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها)[4].

كما أن لهذا القرآن مقاصد وأهدافا يسعى إليها ، ويحرص عليها من : تصحيح العقائد والتصورات ، عن الألوهية والنبوة والجزاء ، وتصحيح التصور عن الإنسان وكرامته ورعاية حقوقه ،

[1]- الحجر :9 .

[2]- المائدة : 50 .

[3]- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل- تفسير القرآن العظيم – لبنان – بيروت – دار ابن حزم للطباعة والنشر – ط: 1 – 1423هـ-2002م – ج: 2 – ص: 966 .

[4]- سيد قطب – في ظلال القرآن –– مصر – القاهرة- دار الشروق – ط:32-1423 هـ -2003م- ج:2 – ص 901.

كما يحرص على وصل الإنسان بربه ، ليعبده وحده ، ويتقيه في كل أموره ، وكذلك على تزكية نفسه التي إذا صلحت صلح المجتمع كله ، وإذا فسدت فسد المجتمع كله .

فمن حق هذا القرآن أن نحسن التعامل معه :فهما وتفسيرا ، فليس هناك أفضل من أن نفهم عن الله مراده منا . وما أنزل كتابه إلا لنتدبره ، ونفقه أسراره ، ونستخرج لآلئه ، كل بقدر ما يتسع واديه[1] . ومن هنا كان المفسرون ولايزالون يوظفون آيات القرآن ويفهمونها الفهم الدقيق الذي يجعلهم يعالجون الواقع الذي يعيشونه والعصر الذي يتواجدون فيه ويجدون إجابات كافية وحلولا ناجعة لما يقتضيه زمانهم .

ويعد محمد الخضر حسين واحدا من أولئك الذين آتاهم الله الفهم العميق لكتاب الله فسخروه في إصلاح المجتمع وسنتناول الجوانب الإصلاحية التي عرض لها محمد الخضر أثناء تفسيره لآيات من كتاب الله سواء في كتابه أسرار التنزيل أو بلاغة القرآن وكذا في المواضيع التي كان يكتبها أو الردود التي كثيرا ما كان يستشهد فيها بكتاب الله ويشفعها بفهمه لتلك الآيات ؛ وستكون الملامح الإصلاحية التي تناولها كالآتي : في العقيدة وأصول الدين- السياسة والحكم- النظام الإجتماعي .

[1]-القرضاوي : يوسف -كيف نتعامل مع القرآن - مصر- القاهرة - دار الشروق – ط: 4 - 1425 ه -2005م- ص: 12-11 .

المبحث الأول : ملامح الإصلاح في العقيدة وأصول الدين .

المطلب الأول : معنى العقيدة وأهميتها في إصلاح المجتمع :

معنى العقيدة:

اللغة : عقد يعقد عقدا وعقودا ، معناه التزم بالعهد والعقد فيجب الوفاء بما التزمه وعقده، وتقول تعاقد القوم على كذا بمعنى تعاهدوا والتزموا به ومنه قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ۝١﴾[1]؛ مأخوذة من العقد ، بمعنى اللَّي ، يقول القائل : عقدت الحبل فهو معقود فهذا في الحسيات ، وأما في المعنويات فمعناها التعهد والالتزام ، ومن هذا جاءت عقدة النكاح والبيع والشراء وغير ذلك ، من العهود والعقود والالتزامات ، والعِقد بالكسر هو الخيط ينظم فيه الخرز واللؤلؤ وغيرهما ؛ والعقد الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة ثم يستعار للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما فيقال عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه ومنه قيل لفلان عقيدة ، وقيل للقلادة عِقد [2].

[1]- المائدة : 01 .

[2]- الرازي : محمد بن أبي بكر- مختار الصحاح - لبنان- بيروت- مكتبة لبنان - ط :1 - 1986م - ص: 186-187؛ الراغب الأصفهاني - معجم مفردات ألفاظ القرآن – ص:257 .

أما في **الاصطلاح** : فإن **العقيدة** عرفت بما يلي :

"العقيدة هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة"[1].

والعقيدة هي: الحكم الذي لا يقبل الشك في نظر معتقده ، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، واعتقد كذا بقلبه آمن به وصدق ،واعتقد الأمر صدقه ، وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به واتخذه دينا[2].

-دور العقيدة في إصلاح المجتمع :

للعقيدة السليمة أثرها الفعال ، ودورها في إصلاح الفرد وتزكيته ، وهي الأساس الذي وضعه الإسلام لتكوين الفرد وهي القوة الدافعة للحياة ، ومنها يستمد المسلم طاقته ، وبها يحدد طريقه ويبلغ غايته .

"وإنما تصلح الأرض بالتوحيد والطاعة"[3] .

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك ، وتزكية النفوس ، وتوجيهها نحو المثل الأعلى فضلا عن أنها حقائق ثابتة؛ وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق...فغرس العقيدة في النفوس، هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا في الحياة ، وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد[4] .

---

[1]- السيد سابق - العقائد الإسلامية - مصر –القاهرة- دار الفتح للإعلام العربي- ط :10-1420ه -2000م– ص: 9.

[2]- عبد اللطيف بن علي السلطاني - في سبيل العقيدة – ص:22 – الجزائر- قسنطينة - دار البعث للطباعة والنشر- ط: 1- 1402 ه -1982م .

[3] -محمد الخضر حسين - سرار التنزيل – ص: 29 .

[4]- السيد سابق - العقائد الإسلامية – ص: 11-12 .

"والعقيدة مصدر الأخلاق الفاضلة والعواطف النبيلة فما من فضيلة إلا تصدر عنها ولا مكرمة إلا ترد إليها".

ومن المعلوم أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسد واعوج ، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد ضرورة لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته .

ولقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة أول شيء قام به رسل الله جميعا ، ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية يسمو بها عن الماديات الوضيعة ، ويوجهها دائما وجهة الخير والنبل ، والنزاهة والشرف[1] .

المطلب الثاني :الإلاهيات (مسائل الألوهية) :

لقد كان شأن الاعتقاد أول ما اهتم به الإسلام، فكان ابتداء الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد ونبذ الأصنام وقد جعل ذلك مبنى الخير كله .

"وإن إعلان ما يجب على المؤمن اعتقاده من صفات الله تعالى هو تكملة لإصلاح الاعتقاد ؛ لأن تصور الإله موصوفا بصفات غير كاملة يفيت المقصود من إثبات وجوده ووحدانيته ؛ لأنه إذا كان موجودا ولم يكن كاملا كان وجوده قريبا من العدم ، فالحاجة إلى تقرير ما يجب على المؤمن من معرفته مع اعتقاد عموم علمه وقدرته على ما يريد حاجة أكيدة"[2] .

ولئن كان تكوين محمد الخضر حسين وما تلقاه عن شيوخه سواء في نفطة ، أو عن الشيوخ في جامع الزيتونة هو مذهبَ الأشاعرة(مذهبَ أهل السنة) -الذي أسس قواعده أبو الحسن الأشعري

[1]- محمد السيد يوسف - منهج القرآن في إصلاح المجتمع -- مصر - القاهرة- - دار السلام للطباعة والنشر- ط2 : 1424هـ-2004 م - ص: 342 .

[2]- محمد الطاهر بن عاشور - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام -- -مصر - القاهرة - دار السلام للطباعة والنشر- ط: 2-1427هـ-2006م - ص: 45 .

هذا المذهب الذي كان منتشرا في أغلب البلاد الإسلامية وتبنته كبريات الجامعات الإسلامية آنذاك (جامع الزيتونة –جامعة الأزهر- جامعة القرويين ...) - فإن محمد الخضر لم يتعرض في تفسيره إلى المباحث الكلامية التي أطال فيها الأوائل الكلام بل مر على بعض المسائل التي هي على ذلك النحو مرورا عابرا كتعرضه لمسألة الإستواء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [1] .

حيث فسرها بقوله :(أقبل وعمد إليها بإرادته).

وأيضا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [2] قال :" المعنى أن الله لا يترك أن يضرب مثلا ما ، وإطلاق الفعل كالاستحياء على ما يترتب عليه كترك الفعل ، مألوف في الكلام البليغ حيث يكون المراد واضحا .

في حين أن المسائل التي ينبني عليها عمل وتهم الأمة نجده يطيل فيها النفس ويكثر لها الأدلة والشواهد كما سنرى في مطالب هذا المبحث .

وأول مايبحث في هذا المجال هو: **(متعلقات الألوهية) والتي ينضوي تحتها جملة من المسائل وهي :**

أ - **علم الغيب من خصوصيات الله عز وجل** : لقد تعرض محمد الخضر حسين في تفسيره لآيات القرآن الكريم إلى جوانب عديدة تتعلق بالعقيدة الإسلامية وعالج كثيرا من المفاهيم الخاطئة حول : الألوهية وما يتفرع عنها وحول النبوة وما يتصل بها ومسألة الغيب هي إحدى المسائل التي تصدر لها بالعلاج والتصحيح .

[1] - البقرة :28 .

[2] - البقرة :25 .

فقد قال في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلاَّ دَآبَّةُ ٱلاَرْضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [1].

الآية تنفي أن يكون الجن يعلمون الغيب ومن هنا كان مختصا بالخالق-جل شأنه قال تعالى : ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2].فدلت الآية على أن علم الغيب خاص به تعالى ، وأما غيره ، فلا يعلم الأشياء الغائبة عنه بذاته ،وإنما يعلم منها ما يُعَلِّمه الله ؛ كما قال تعالى : ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَداً ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[3] .

فعلم الغيب يختص به واجب الوجود —جل شأنه — لأنه هو الذي يعلم المغيبات بذاته ، وأما العلم بشيء من المغيبات الحاصل من تعليم الله فلا يقال لصاحبه إنه يعلم الغيب[4]

ومن هنا نفهم كيف ينفي النبي ﷺ عن نفسه علم الغيب ، مع أن الله قد أظهره على أشياء كثيرة كانت غائبة عنه ، فقال : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا

[1]- سبأ : 14 .

[2]-النمل : 67 .

[3]- الجن :26 .

[4]-محمد الخضر حسين - أسرار التنزيل — ص:65 .

مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓء ﴾[1] فنفي علم الغيب عن الجن لا ينافي أنهم يعلمون بعض الأشياء بطريق من طرق العلم الخفية[2] .

وإذا علم غير الرسول من الغيب ، فبإلهام من الله في المنام ، أو بصفاء البصيرة ،وكلاهما يعطي ظنّا قويا لافِي قوة ما يطلع الله عليه من ارتضى من رسول[3] .

ومما يؤسف له أشد الأسف :أن تعود الجماعات غير المهذبة إلى الإكثار من الحديث عن تصرفات الجن ، ويتخذوا لمعالجتها أمثال ما كان في عهد الجاهلية ، كهذا الصنيع الذي يسمونه "الزار" .....وإذا نظرتم إلى هذه المزاعم والعادات التي أبطلتها الدعوة المحمدية ، وجدتم بعضها أثرا من آثار عقيدة الشرك ، وبعضها إنما هو أثر الجهل وضعف الفكر.

فمن مزاعمهم التي هي وليدة الشرك :أخذ الغلام لسنه إذا سقطت ورميها في وجه الشمس عندما تطلع ، وقوله يا شمس : أبدلينا سنا أحسن منها وهذا من آثار الاعتقاد بإلهية الشمس [4].

ب – الأدب مع الله : لقد عرض محمد الخضر حسين لمسألة الأدب في مخاطبة الله عز وجل وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[5] . قال : "إن قول الملائكة لم يكن صادرا عن إنكار وإنما هو استكشاف عن الحكمة ؛ ولما كانت مكانتهم من طاعة الله ويقينهم بأن أفعاله لا تصدر إلا عن حكمة يقتضيان أن يتلقوا ما أعلمهم الله به من جعل خليفة في الأرض بتسليم تام ،ويتمهلوا إلى أن يطلعهم الله على الحكمة من خلق آدم بوجه من

[1]- الأعراف :188 .

[2]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – ص: 124-125 .

[3]- المصدر نفسه – ص: 86 .

[4]- ينظر : محمد رسول الله وخاتم النبيين – ص: 174 .

[5]- البقرة : 29 .

وجوه العلم ، كانت مبادرتهم لسؤاله تعالى عن الحكمة غير واقعة الموقع اللائق بكمال أدب العارفين به ، المقربين من حضرته .....وليس من أدب المؤمنين بأنه العليم الحكيم أن يسألوه –حين يأمرهم بشيء ، أو يعلمهم بأنه سيفعل شيئا – عن حكمة ما أمر به أو سيفعله ، بل شأنهم أن يتجهوا إلى استطلاع حكمة الأفعال والأوامر من أنفسهم ، فإذا أدركوها فقد ظفروا بأمنيتهم ، وإن وقفت عقولهم دونها ؛ ففي تسليمهم لقدر الله ، وامتثالهم لأوامره الكفاية في القيام بحق التكليف ، والفوز برضا الله الذي هو الغاية من الإيمان به والإقبال على طاعته "[1].

ولما كانت زيارة القبور من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، ووسيلة من وسائل العبرة والاتعاظ ورقة القلب وتذكر الآخرة فإن بعض الزائرين تصدر منهم تصرفات تتنافى مع الأدب مع الله وذلك بالخروج عن آداب الزيارة ومن هنا عرج محمد الخضر حسين على هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2]. قال :" ومن واجب دعاة الإصلاح : أن يراقبوا أحوال من يزورون قبور الصالحين ، حتى إذا أحسوا من زائر المبالغة في تعظيم صاحب القبر؛ كالانحناء أمامه على هيئة الراكع أو الساجد ، نبهوه برفق ، وأنقذوه من الوقوع في اعتقاد أن الولي يملك لنفسه أو لغيره نفعا أو ضرا ، وأعادوه إلى ما يوافق التوحيد الخالص ؛ من أن النفع والضر من طريق غيبي إنما هو بيد الله الذي بيده ملكوت كل شيء "[3].

[1]– محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل – ص: 62 .

[2]– البقرة : 21 .

[3]– المصدر نفسه – ص: 366 .

المطلب الثالث :النُبـُوات

أ – معنى النبوة والرسالة :

عرَّف محمد الخضر حسين الرسول بأنه :"من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه "[1].

أما د: البوطي : فقد عرف كلا من الرسالة والنبوة بقوله :"النبوة مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر ، ومعناها وصول خبر من الله بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك ، فالكلمة إذا تفسير للعلاقة بين النبي والخالق جل جلاله ، وهي علاقة الوحي والإنباء . والرسالة ، تعني تكليف الله أحد عباده بإبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين . ثم يفرق – رحمه الله – بين النبوة والرسالة فيقول :

"**والفرق بين النبوة والرسالة مذاهب** :ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الكلمتين مترادفتان وأنهما ذات مدلول واحد ، فكل نبي يسمى رسولا ، وكل رسول يسمى نبيا ، غير أنه يسمى رسولا بالنظر إلى ما بينه وبين الناس، ويسمى نبيا بالنظر إلى ما بينه وبين الله"[2] .

وذهب كثيرون إلى أن بينهما عموما وخصوصا مطلقا ، إذ النبي هو من أوحي إليه بأمر من الله سواء كلف بتبليغه أم لا ، فإن كلف بتبليغه كأن أوحي إليه بشرع أو كتاب إلى عامة الناس ، فهو رسول أيضا .

وعلى هذا ، فكل رسول نبي ، إذ الرسالة إلى الناس فرع عن النبوة من الله ، وليس كل نبي رسولا ، إذ قد يكون موحى إليه ، دون تكليف له بالتبليغ[3] .

---

[1]– أسرار التنزيل ، ص237 .

[2]– البوطي : محمد سعيد رمضان –كبرى اليقينيات الكونية – سورية – دمشق– دار الفكر – ط :8 – 1420 هـ –1999م – ص 183 .

[3]– المصدر نفسه – ص: 184 .

أما شارح العقيدة الطحاوية فقال :" وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول ، وأحسنها : أن من نبأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي رسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول ، فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة ، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرَها ، بخلاف الرسل ، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم . بل الأمر بالعكس ، فالرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها "[1]

فهو حين يتطرق إلى ما يتعلق بقصص القرآن الكريم عموما وبحياة الأنبياء لا يخوض في المبهمات التي أبهمها القرآن الكريم لأنه يرى أن لا فائدة ولا حكم يترتب على الخوض في ذلك .

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوَ اَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[2].

شأن القرآن في سرد القصص وضربها أمثلة الاكتفاء بما له مدخل في الموعظة والإعتبار ، فنجده -في الغالب – لا يصرح بأسماء الأماكن التي تجري فيها الوقائع ؛ كقصة ملاقاة موسى للخضر- عليهما السلام- ؛ فإنه لم يعين المراد بمجمع البحرين ؛ حيث لا ينبني على التعيين فائدة في الإرشاد لأن الحكمة من مساق هذه القصة : التذكير بما اشتملت عليه من المحامد والآداب ؛ كسفر العالم للازدياد في العلم ، وتكبده المشاق في السير له ، ولو بعدت المسافة سنين فإن موسى -عليه السلام- يقول: ﴿ اَمْضِى حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[3]. والإيماء إلى أن التوكل اعتماد القلب على الله، لا في

[1]- ابن أبي العز الحنفي :علي بن علي بن محمد - شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي-شعيب الأرنؤوط - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط: 2 - 1421 هـ -2001م - ج :1 - ص :239 .

[2]- الكهف 59 .

[3]- الكهف 59 .

نكث اليد من الأسباب ؛ فإنه عليه السلام حمل معه الزاد ، ودل على هذه بقوله: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[1] . ولكن بعض المفسرين كثيرا ما يسردون أقوالا في أسماء ما جاء مبهما في القرآن [2].

ب –متعلقات النبوة :

1–ختم النبوة : لقد عاصر محمد الخضر حسين ظهور عدة طوائف عقدية وسياسية وأيديولوجية وكان لهذه الطوائف وجود وانتشار وأتباع داخل البلاد الإسلامية "علما أن العقيدة الإسلامية وأصولها ثابتة لا تتغير ولا تتطور ولكن النظرة إليها تتطور بتطور الأزمنة والأفكار"[3] ومن الطوائف ذات الطابع العقدي والتي اعتنى بالرد عليهما في كتاباته طائفتا (القاديانية [4]والبهائية[5]) اللتان كانتا نتاجا وصناعة استعمارية أراد بها أعداء الإسلام ضربه من الداخل وبواسطة أناس يتسَمَّون بأسماء إسلامية وخير دليل على ذلك : المؤسسون لهاتين الطائفتين فقد أسستا على يد كل من :

---

[1]– الكهف : 61 .

[2]– محمد الخضر حسين– الرِّحْلات– ص: 69 .

[3]– مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – عدد: 45 – ربيع الأول 1422هـ–يونيو2001م– ص: 54 . بحث بعنوان الإيمان في القرآن الكريم .

[4]- القاديانية :هي نحلة تنسب إلى غلام أحمد القادياني نسبة إلى قرية قاديان من إقليم البنجاب في الهند المتوفى سنة 1326 هـ وهي : حركة نشأت بتخطيط من الإستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص ، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام " .

ينظر : (المودودي : ابوالأعلى ؛ الندوي: أبو الحسن) – القادياني والقاديانية – سورية – دمشق – دار ابن كثير – ط : 1 – 1421 هـ – 2000 م – ص: 21 ومابعدها .

[5] - البهائية :نشأت عام (1260 هـ – 1844 م)تحت رعاية الإستعمار الروسي واليهودية العالمية والإستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية ، وتفكيك وحدة المسلمين ، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية ، وقد ادعى البهاء المهدية ، ثم ادعى النبوة والربوبية والألوهية .

ينظر : علي بن نجيب الزهراني – الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر – السعودية – مكة – دار طيبة – ط: 2 – 1418 هـ – 1998 – ج :1– ص: 589 ؛ بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن– قراءة في وثائق البهائية – مصر – القاهرة – مركز الأهرام للترجمة والنشر – ط :1 – 1406هـ–1986م – ص: 53 وما بعدها .

(غلام أحمد) القادياني [1] ، والبهاء (حسين علي نوري) [2].

اِعتمد أتباع هاتين النحلتين على أفهام خاطئة لبعض نصوص القرآن وأولتها تأويلا شاذا حتى تعطي لنفسها الشرعية والقبول والإقبال لدى الناس ، وقد تصدى محمد الخضر حسين للرد عليها مستعينا على ذلك –كعادته– بالقرآن الكريم والفهم العميق لآياته بل إنه ألف رسالة كاملة في الرد على عقائد هذه الفرقة عنونها ب : "القاديانية والبهائية"

وهم في آرائهم امتداد للباطنية في اعتقادهم سواء في العقائد أو في التكاليف الشرعية " فالمنقول عن الباطنية الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع"[3] وكذلك كان الأمر مع هاتين الطائفتين وهنا يظهر ملمح الإصلاح في فكر محمد الخضر

---

[1]–القادياني :أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني ، ويسمى مرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد ، ويلقب بالمسيح الثاني : زعيم القاديانية ومؤسس نحلتهم ، هندي له كتابات عربية . نسبته إلى قاديان من قرى بنجاب ولد ودفن فيها سنة (1255هـ–1839م) . قرأ شيئا من الأدب العربي ، واشتغل بعلم الكلام . وخدم الحكومة الإنجليزية –أيام احتلالها للهند ؛ ولما تم القرن الثالث عشر الهجري نعت نفسه بمجدد المئة . ثم أعلن أنه المهدي ، وزاد فادعى أنه أوحي إليه ، فآمن به جمهور من الهنود ، على أنه نبي تابع للشريعة الإسلامية ، وأنه أحمد المعني بآية (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ، وضع كتبا بالعربية والأردية منها :((حمامة البشرى إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى)) ، و((ترياق القلوب)) .((حقيقة الوحي)) . توفي سنة : 1326هـ–1908م .

ينظر ترجمته : الزركلي – الأعلام – ج: 1 – ص: 256 .

[2]– البهاء : حسين علي نوري بن عباس بن بزرك ، الميرزان المعروف بالبهاء ، أو بهاء الله : رأس البهائية ومؤسسها . إيراني ، مستعرب . أصله من بلدة نور (بمازندران) وإليها نسبته .ولد سنة (1233هـ–1817م) ، من أسرة ظهر فيها وزراء وعلماء. ولد بها وقيل بطهران واعتنق ((دعوة)) كان علي بن محمد الشيرازي ، الملقب بالباب ، قد قام بها ، ظاهرها الإصلاح الديني والاجتماعي ، وباطنها تلفيق عقيدة جديدة ، ولما قتل الباب رميا بالرصاص في تبريز سنة 1266هـ–1850م) خلفه البهاء في دعوته ثم اعتقل وأبعد فنزل ببغداد ثم تنقل من دولة إلى دولة حتى استقر به المقام في عكة بفلسطين والتف حوله مريدوه ، وتوفي بها ودفن في حيفا سنة (1309هـ–1892م) من آثاره ما سماه الكتاب المقدس ، والإيقان ، والهيكل .

ينظر ترجمته :الزركلي – الأعلام – ج: 2 – ص: 248–249 .

[3]– الغزالي : أبو حامد – فضائح الباطنية – تحقيق: عبد الرحمن بدوي–الكويت – حَوَلِّي– مؤسسة دار الكتب الثقافية – ط:1–1383هـ– 1964م– ص:46 .

حسين حيث رأى الخطر الذي يهدد كيان العقيدة داخل البلاد الإسلامية فليس من اللائق الخوض في الرد على طوائف انقرضت ولم يصبح لها وجود في العصر بل لا بد للتصدي للطوائف المناوئة للإسلام المعاصرة للفترة التي عاشها الشيخ محمد الخضر حسين وإبرازِ دور التفسير في معالجة ما يقتضيه الواقع وفي ما يلي ردود الشيخ محمد الخضر على معتقدات هاتين الطائفتين .

– انطلقت القاديانية من قوله تعالى :﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[1] متشبثين بأن قوله : ﴿ يَصْطَفِى ﴾ فعل مضارع والمضارع للإستقبال.

فكان الرد :ودفع هذه الشبهة أن الفعل الواقع في الماضي قد يعبر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات بلاغية ، منها : أن يكون المعنى موضع غرابة ؛ فإن المضارع من حيث دلالته على الحال يتوسل به المتكلم البليغ إلى إخراج الحادث الغريب في صورة الواقع في الحال ؛ ليبلغ تعجب المخاطَب من وقوعه مبلغ تعجبه من الصورة البديعة في حال مشاهدتها . وعلى هذا الوجه ورد قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[2].

قال : ﴿ فَيَكُون ﴾ ، والموضع في الظاهر للماضي ، لأن وجود إنسان من غير أب حادث غريب ، فحاله يقتضي أن يعبر عنه بالمضارع ؛ لإحضاره في ذهن المخاطب حتى كأنه مشاهد له[3].

ومن دواعي التعبير عن الماضي بصيغة المضارع : الإشارة إلى استمرار الفعل وتجدده فيما مضى حينا بعد حين ؛ فإن الإستمرار التجددي يستفاد من المضارع على ما جرى عليه استعمال البلغاء ،

[1]– الحج :73 .

[2]– آل عمران : 58 .

[3]– محمد الخضر حسين – القاديانية والبهائية – سورية–دمشق – دار النوادر– ط:1 –1431هـ –2010م–ص:18–19.

وصيغة الماضي لا تعرج على هذا المعنى . فالتعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ يدل على معنى زائد على أصل الإصطفاء الذي يدل عليه الماضي ، ويقف عنده . وذلك هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد ، ويقع مرة بعد مرة ، والقرينة الشاهدة بأنَّ :﴿ يَصْطَفِي ﴾ مراد منه الإصطفاء الواقع قبل نزول هذه الآية وهي آية : ﴿۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]. فاستعمال المضارع موضع الماضي في كلام البلغاء خارج عن الإحصاء ، وآيات الكتاب يفسر بعضها بعضا ، كما أن السنة تبين الكتاب[2] .

– استند القادياني وأتباعه على أن معنى (الخاتم) في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (أي أفضل النبيئين) أو (سيد النبيئين) ، (زينة النبيئين) وابتغوا هذا التأويل ليتهيأ لهم أن يقولوا على الله ما شاءت أهواؤهم ، ويفسدوا على المسلمين أمر دينهم .

وكان الرد من محمد الخضر حسين معتمدا على كتب اللغة في شرح معنى الخاتم كالآتي :

﴿ وَخَاتِم﴾ في الآية بمعنى : آخِر وهو المعنى الذي يذكره علماء اللغة .

قال صاحب اللسان وخاتَمهم وخاتِمهم : آخرهم ، ومحمد ﷺ خاتم النبيئين " وقال ابن سيده في كتاب((المحكم)) : « وختام القوم ، وخاتَمهم ، وخاتِمهم : آخرهم »

« وفي التنزيل ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ؛أي آخرهم » وقال الأزهري في كتاب التهذيب : وخاتم كل شيء آخره .

[1]– الأحزاب : 40 .

[2]– القاديانية والبهائية – ص: 20 .

وقوله تعالى : ﴿ رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ معناه آخر النبيئين .

ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب ((الصحاح)) ، وصاحب((المصباح)) ، وصاحب ((القاموس)) ، وصاحب((أساس البلاغة)) أن الخاتم بمعنى الزينة .

وخلاصة البحث أن علماء اللغة يقولون: الخاتم بمعنى الآخر، والمفسرون يقولون : ﴿وَخَاتَم ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ؛ أي آخرهم . وانتظرنا من داعية القاديانية أن يأتي بشاهد على دعواه من كلام العرب ، أو من كتب اللغة ، أو من أقوال أئمة التفسير فلم يفعل ، وذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير ، بِلَغْوٍ من القول ،كأنه لا يشعر أن القرآن قول فصل وما هو بالهزل[1] .

وهذه العقيدة هي أشبه بعقيدة الباطنية إذ كلامهم يوحي بأن النبوة لم تكتمل في شخص الرسول محمد ﷺ فيقولون :" إن القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها ، كما لا تستكمل النطفة الحالة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر فكذلك هذه القوة – أي الوحي – كمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت ؛وهكذا تنتقل إلى أشخاص بعضهم بعد بعض فيكمل في السابع "[2].

وقد يقرأ القارئ في بعض كتب التفسير ما يسمى الإشارات ، فربما تبادر إلى خياله أن كلام أصحاب ذلك النوع من التفسير أشبه بكلام البهائية أو الباطنية ، والحقيقة أنَّ الباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم ؛ بدعوى : أن هذا مراد الله دون ما سواه، أمّا أصحاب الإشارات فإنهم كما وصفهم أبو بكر بن العربي : " ثم نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم أصحاب الإشارات ، جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها ، وأقروها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية ، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفكر واعتبروا منها

[1]–محمد الخضر حسين – القاديانية والبهائية – ص: 59–60 .

[2]– الغزالي: أبو حامد– فضائح الباطنية – ص: 41–42 .

في سبيل الذكر "[1] فهذا هو جوهر الفرق بين أهل الإشارات وبين الباطنية من بهائية وقاديانية فأولئك –أي أصحاب الإشارات – لا ينفون المعنى الظاهر الذي يدل عليه اللفظ العربي أما هؤلاء – أي القاديانية والبهائية – فأقل ما يقال فيهم :

"الحقيقة أن هذه الفئة العميلة لا تريد أن تنكر فقط ختم النبوة بل تريد أكثر من ذلك وهو فتح باب الإلحاد في دين الله سبحانه وتعالى وهدم أسس التوحيد التي أرساها المصطفى ﷺ وكافة المرسلين عليهم السلام"[2] .

2– الزواج والقرابة :

– من المظاهر المتعلقة بموضوع النبوة وصارت معتقدا متداولا لدى بعض الناس وعرض له محمد الخضر حسين بالإصلاح : تقصير بعض الناس في أوامر الله ونواهيه ودعواهم أن النسب الشريف والاتصال بالنبي ﷺ يغنيهم عن هذا . وروابط الاتصال بالنسب الشريف تكون بعدة وسائل منها : (**الزواج** و**القرابة**).

أ–الزواج : يقول محمد الخضر حسين :" ورد في الإسلام ما يدل على **اعتبار** رابطة التزوج بذي فضل إذا انضم إليها الإحتفاظ بواجبات الشريعة .

تجد هذا في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ انِ إِتَّقَيْتُنَّ﴾[3]، فيفهم من الآية : أن صلة التزوج بشريف إنما تقابل بالتفضيل ، إذا صحبها وصف التقوى .

[1]– ابن العربي : أبو بكر بن محمد المالكي – العواصم من القواصم – مصر– مكتبة الأنصار– ط:1– 1427 هـ –2006م– ص:190 .

[2]– إحسان إلهي ظهير– القاديانية دراسات وتحليل – باكستان – لاهور– إدارة ترجمان السنة– ط:16– 1404 هـ – 1983م– ص: 290 .

[3]– الأحزاب :32 .

ويقول بعض المفسرين : إن الوقف في الآية عند قوله : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ثم يبدأ بالشرط ، ويكون جوابه ما بعده ، وهو قوله : ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾[1]. فتفيد الآية حينئذ تفضيلهن على النساء بإطلاق ، وهو أبلغ في مدحهن .

وهذا الوجه غير مستقيم والذي يخدش فيه : أن الوقف على ما قبل الشرط غير متعين ، وأن الآية لم ترد في سياق المدح والثناء وإنما جاءت في معرض الوعظ والإرشاد ؛ ومن دلائل شرف الإنسان : اتصال نسبه بمن ثبت له ضرب من السيادة ؛ فإن النسب الرفيع مظنة أن يحث النسيب على تنقيح سيرته ، ويتحرى به قصد السبيل في أدبه ؛ ووجه هذا أن من نبت في بيت فاضل ، ونشأ في مهاد طاهر ، من شأنه الاقتداء على أثر سلفه ، ولا يفوته الإقتباس من أنوار فضيلتهم ، ولهذا يهجم على الإنسان العَجَب ، ويتقوى في الإنكار متى شاهد من سلالة الفاضل ما لا يقع منه موقع الرضا [2] .

[1]- الأحزاب : 32 .

[2]- محمد الخضر حسين - الدعوة إلى الإصلاح - سورية-دمشق – دار النوادر - ط :1 - 1431 هـ -2010م- ص: 260-261 .

كما قصه الله تعالى عن قوم مريم-عليها السلام- في قولهم لها حين أنكروا عليها الولد من غير أب : ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴿٢٨﴾﴾[1].

فقد جاء في الشريعة ما يصرح بأن النسب لا يغني غناء العمل الصالح في الخلاص من عهدة التكاليف ، ولا يرد العقوبة عن المظالم في الآخرة . قال ﷺ فيما روى مسلم : (مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[2].

ب – القرابة :

يُعْزى إلى بعضهم القول بأن أقارب النبي ﷺ لا يعذبون على المعاصي ، فيعتقد في كل مؤمن منهم مات وهو يعمل بالمعصية أنه لا يلحق به الوعيد في الآخرة ، واستدل على هذا بقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾﴾[3] – فزعموا – أنه علق تطهيرهم وذهاب الرجس عنهم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها ، وهذا المذهب لا ينتظم مع قاعدة أهل السنة من أن أمر العصاة موكول إلى المشيئة ، ولا أراه- يضيف محمد الخضر- إلا مختلفا على من نسب إليه، ثم إن فهم الآية على ما قرره غير متعين ، ولا هو ظاهر ، فإن المراد من آل البيت : علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين رضي الله عنهم كما عزاه ابن عطية للجمهور ،

---

[1]- مريم :27 .

[2]- جزء من حديث : "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ". – – رواه مسلم : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر – رقم: 7028 – ج:8- ص71.

[3]- الأحزاب : 33 .

أو المراد أزواجه- عليه السلام – وهؤلاء الأربعة ، ورجحه ابن عطية من عند نفسه[1] ، وعلى فرض أن يحمل آل البيت على الأشراف ما امتدت فروعهم في الإسلام ، فإن الإرادة في الآية واردة بمعنى الأمر كما فسرها بذلك أبو إسحاق الشاطبي في ((موافقاته)) ، وهي تستلزم المحبة والرضا بالمراد ، لا وجوبه ووقوعه ، ويكون سوقها في حقهم خاصة ، مع أن الله يحب ويرضى ذهاب الرجس عن غيرهم ؛ للإيذان بأن حكم الآل حكم غيرهم في استقباح المعاصي منهم وإرادة تطهيرهم من آثامها ؛ **لئلا يُتوهم** أن قرابتهم من أكمل الخليقة تقوم مقام الأعمال الصالحة ، وتجعلهم بحيث لا تستقبح منهم الفحشاء ، ولا تكتب في صحائفهم الأوزار[2] .

3 – المعجزات :

تعريفها : هي كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين له ، على وجه يبين صدق دعواه[3] .

فيجب على المسلم أن يعتقد بأن اللهﷻ قد جهز أنبياءه ورسله الذين أرسلهم إلى الناس بمعجزات تبين صدق دعوتهم وتوضح للناس ارتباطهم بالله ﷻ وأنهم مؤيدون به . وما من نبي إلا أكرمه الله عز وجل بمعجزة نبهت الناس إلى ضرورة الإيمان به والتمسك بهديه وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : " مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]

---

[1]– قال ابن عطية : قال القاضي أبو محمد والذي يظهر إلي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة ف " أهل البيت " زوجاته وبنته وبنوها وزوجها وهذه الآية تقضي أن الزوجات من " أهل البيت .

ينظر : ابن عطية – أبو محمد عبد الحق بن غالب- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –- تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد – لبنان – بيروت –دار الكتب العلمية – ط: 1 – 1413 ه –1993م – ج :4 – ص: 385 .

[2]–محمد الخضر حسين- الدعوة إلى الإصلاح – 264-265 .

[3]– البوطي –كبرى اليقينيات الكونية – ص: 214 .

[4]– أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل- رقم :4699- ج:4 – ص:1905 .

قال ابن حجر رحمه الله : قوله ما من الأنبياء نبي إلا أعطى : هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة والآيات أي المعجزات الخوارق والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه بل المراد أن المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه لما كان العرب الذي بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك[1] .

لقد أفرز العصر الحديث توجهات وفرقا أَلْحَدَتْ في آيات الله وفرقا أخرى باطنية كادت للإسلام بتأويل القرآن على وجوه غير صحيحة وقد سبق لنا الإشارة إلى بعض معتقدات البهائية والقاديانية وكيف رد عليهم محمد الخضر حسين انطلاقا من فهمه الثاقب لكتاب الله ﷻ ولقد قال محمد الخضر حسين –في شأن بعض الطوائف التي اندست بين المسلمين– :" ظهر أشخاص قلَّ في علم اللغة نصيبهم ، أو خف في علم الشريعة وزنهم ، فتناولوا القرآن بعقول لا تراعي في فهمه قوانين البلاغة ، ولا تدخل إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة ، ومزاعم منبوذة ، ووَجَدت هذه الآراء وهذه المزاعم عند بعض العامة وأشباه العامة متقبلا "[2] .

ففي باب المعجزات تعاملت هذه الطوائف معها تعامل المنكر لها حتى قالوا : " إنَّ آيتهم –أي الرسل – على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم ، وصلاح رسالتهم ، وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه في الكون " فقولهم هذا صريح في إنكار خوارق الآيات والمعجزات التي

[1]– ينظر :ابن حجر – فتح الباري – ج:8 – ص:798-799 .

[2] –محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن – ص: 143 .

أجراها الله على يد أنبيائه ورسله . ولهذا نَحَوْا إلى تأويل الآيات التي صرحت ببعض معجزات الأنبياء وفي ما يلي بعض تأويلاتهم وردود محمد الخضر حسين على تلك التأويلات الفاسدة .

- **معجزات موسى عليه السلام** : لقد أيد الله نبيه موسى بمعجزات عدة صرح بها القرآن الكريم وهي ثابتة بنصوص قطعية غير أن هناك طوائف أنكرت أن تتحول العصى إلى أفعى أو ثعبان حيث أوّلوا العصا في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنَ اَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾[1] بقولهم **إن العصا بمعنى : الحجة** وبينوا ذلك بقولهم :" يصور لنا كيف كشفت حجته تزييف حجتهم حتى سلَّموا له وآمنوا به " .

وأما بالنسبة **لمعجزات عيسى عليه السلام** : فقد وقفوا حيالها وقوف الجاحد المستبعد لها حيث فسروا قوله تعالى : ﴿ إِنِّيَ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] فقد حرَّفوا قوله تعالى : ﴿ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ ﴾ حيث قالت هذه الطائفة :" يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره . وأولوا البرص بأنه برص الذل الذي برصت به جباههم وجنوبهم....وارتفعت نغمات الإنجيل ، فأحيا الله تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضا من تلك النفوس الميتة ، وبرأ بيده المباركة جملة من الجباه المبروصة ".

هنا يأتي رد محمد الخضر حسين حيث يقرر أن هذه التأويلات كلها زخرف من القول وجحود لمعجزات الرسل وصرف لآيات الله عن معانيها المفرغة من لفظها العربي المبين .

[1]- الأعراف : 117 .

[2]- آل عمران : 46 .

والمعنى الذي يعقل من الآية : أني أصور لكم من الطين شيئا على هيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا حيا بأمر الله ، وأبرئ الأعمى ، والذي به وضح ، وأعيد الحياة إلى جسم من فقد الحياة ، أفعل كل ذلك بأمر الله[1] .

وعند عرض البهائية لمعجزة كلام عيسى عليه السلام في المهد : ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2] أنكروها وفسروا الآية تفسيرا بعيدا حيث قالوا:" في دور المهد ، وهو دور الصبا ، علامة على الجرأة ، وقوة الاستعداد في الصغر " : يريد أنه يكلمهم في سن أعتيد فيها الكلام .

فقد أجاب محمد الخضر حسين عن هذا بما يلي :

جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري ما يدل على أن عيسى – عليه السلام- تكلم قبل أوان الكلام، تجد هذا في حديث :" لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة "[3] وذكر في أولهم عيسى-عليه السلام.

ثم عرض إلى كلمة المهد ومعناها بقوله :" والمهد في الأصل مصدر مهد ؛ أي بسط ووطّأ ، وهو كما في لسان العرب : اسم لموضع الصبي الذي يهيّأ له ويوطأ لينام فيه ، فكان على المؤوّل – أي البهائية- إذ فسّره بدور التمهيد للحياة أن يقيم على هذا شاهدا من كلام العرب ويبدي الوجه الذي دعاه إلى الإعراض عن حديث رسول الله ﷺ ، وإلا كان هذا التأويل علامة على جرأته ، واستعداده لأن يخوض في آيات الله بغير علم ، وعلى غير أصل[4] .

[1]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن-ص:150 .

[2]- آل عمران :46 .

[3]- سبق تخريجه : ص:79 .

[4]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن- ص:151-152 .

المبحث الثاني : السياسة والحكم .

المطلب الأول : مفهوم السياسة وحقيقتها .

تعريف السياسة :

لغة : بالكسر والمثناة التحتانية مصدر ساس الوالي الرّعية أي أمرهم ونهاهم [1]. سوس سست الرعية سياسة. وسُوِس الرجل أمور الناس، على ما لم يسم فاعله، إذا ملك أمرهم.

ويروى قول الحُطيئة:

لَقَدْ سَوَّسْتَ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى تَرَكْتَهُمُ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ

والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه .قال الفراء: قولهم سوست خطأ وفلان مجرب قد ساس وسيس عليه ، أي أُمِّر وأُمّر عليه[2] .

اصطلاحا : "السياسة استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في الدنيا والآخرة؛ فهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كلّ منهم في ظاهرهم، ومن العلماء ورثة الأنبياء في باطنهم لا غير كما في المفردات وغيرها؛ ورسمت السياسة بأنّها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال ؛وفي كليات أبي البقاء ما حاصله أنّ السياسة

---

[1] – الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب – القاموس المحيط – تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي – لبنان – بيروت– مؤسسة الرسالة – ط : 8 – 1426هـ – 2005م – مادة السوس .

[2] – الجوهري ، إسماعيل بن حمّاد – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية –تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار– لبنان – بيروت – دار العلم للملايين– ط: 3 – 1404هـ– 1984م– مادة :(سوس) ؛ أبو الفتح ناصر المطرزي – المغرب في ترتيب المعرب –– تحقيق :محمود فاخوري – عبد الحميد مختار– – سورية – حلب– مكتبة أسامة بن زيد – ط :1 – 1399هـ–1979م – ج:1 – مادة (سوس) ؛ الزبيدي :محمد مرتضى الحسيني – تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق : محمود محمد الطناحي– الكويت – مطبعة حكومة الكويت – ط :2 – 2004م– ج: 16 – مادة (س وس) ؛ ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن – جمهرة اللغة – تحقيق : رمزي منير بعلبكي– لبنان – بيروت – دار العلم للملايين– ط :1: 1987 – ج: 1 – مادة : سوس ؛ ابن منظور : محمد بن المكرّم الأفريقي المصري – لسان العرب – ، ت : عبد الله علي الكبير وآخرين – دار المعارف –القاهرة – مادة : (سوس) – بدون تاريخ طباعة .

المطلقة هي إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل على الخاصة والعامة في ظواهرهم وبواطنهم، وهي إنّما تكون من الأنبياء وتسمّى سياسة مطلقة لأنها في جميع الخلق وفي جميع الأحوال، أو لأنها مطلقة أي كاملة من غير إفراط وتفريط. وأمّا من السلاطين وأمرائهم فإنّما تكون على كلّ منهم في ظواهرهم، ولا تكون إلّا منجية في العاجل لأنّها عبارة عن إصلاح معاملة عامة الناس فيما بينهم ونظمهم في أمور معاشهم وتسمّى سياسة مدنية. وأما من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء حقا على الخاصّة في بواطنهم لا غير، أي لا تكون على العامة لأنّ إصلاحهم مبني على الشوكة الظاهرة والسلطنة القاهرة وأيضا لا تكون على الخاصة في ظواهرهم لأنّها أيضا منوطة بالجبر والقهر وتسمّى سياسة نفسية. وتقال أيضا على تدبير المعاش بإصلاح أحوال جماعة مخصوصة على سنن العدل والاستقامة وتسمّى : سياسة بدنية"[1].

وقد قرر هذا المعنى محمد الخضر بقوله : " ثلاث حقائق كل واحدة منها شطر من الإسلام : عموم رسالة محمد ﷺ ، واشتمال شريعته بنصوصها وأصولها على ما لا يتناهى من الوقائع ، وكون هذه الشريعة أحكمَ ما تساس به الأمم ، وأصلحَ ما يقضى به عند التباس المصالح ، أو التنازع في الحقوق؛ أجمع علماء المسلمين على هذه الحقائق ، وعرفها عامتهم ، فمن أنكر واحدة منها ، فقد ابتغى في غير هداية الإسلام سبيلا ، ومثل من يماري في شيء منها ، ثم يدّعي أنه لايزال مخلصا للإسلام ، مثل من يضرب بمعوله في أساس صرح شامخ ن ثم يزعم أنه حريص على سلامته ، عامل على رفع قواعده"[2] .

المطلب الثاني : الشورى :

الإسلام يجعل الشورى أسلوبا لممارسة مسؤولية الحكم ، وهي أساس العلاقة بين الحاكم والرعية ولا تقوم الحياة السياسية داخل المجتمع الإسلامي إلا على قاعدة الشورى ، فهي صفة لازمة للجماعة المسلمة ، ومبدأ مارسه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده وبه قامت دولة الإسلام وصلح حالها.

[1] – التهانوي : محمد علي – موسوعة كشاف العلوم والفنون – ص: 993 .

[2]– محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح – ص: 185-186 .

ومبدأ الشورى أسمى وأعدل وأحكم قواعد الحكم الصالح بين البشر ، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره[1] .

لقد تكلم محمد الخضر على ضرورة مبدإ الشورى ردا على الكاتب "طه حسين " الذي زعم أن رسول الله ﷺ لم يضع قاعدة للخلافة حيث قال طه حسين ما نصه :"ولعل النبي ﷺ لو عُمِّر بعد فتح مكة زمنا طويلا لاستطاع أن يمحو تلك الضغائن ، وأن يوجه نفوس العرب وجهة أخرى ؛ ولكنه توفي بعد الفتح بقليل ، ولم يضع قاعدة للخلافة ، ولا دستورا لهذه الأمة التي جمعها بعد فرقة [2] ".

فكان الرد من محمد الخضر حسين : " تحدث النبي – عليه السلام – عن الإمامة في أحاديث يرويها البخاري ومسلم وغيرهما ، وقد شرع القرآن للخلافة قاعدة في قوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [3] فقد ترك للأمة حريتها في انتخاب من ترى فيه الكفاية للقبض على مقاليد أمرها ، حتى تكون السيرة المقتدى بها في كل عهد ، أما طريقة أخذ الآراء ، فموكولة إلى اجتهاد أهل الحل والعقد ككل مصلحة أرشد إليها الإسلام ، وفوّض في وسائلها إلى اجتهاد الآراء .

"وقصد إلى إقامتها على وجه ينفي الإستبداد ، ويجعل الحكام لا يقطعون أمرا حتى تتناوله آراء أهل الحل والعقد ، وأبقى النظر في وسائل استطلاع الآراء إلى اجتهاد أولي الأمر، وإلى ألمعيتهم ، فهم الذين يدبرون النظم التي يرونها أقرب وأكمل ، فيستطلعون الآراء باقتراع سري أو علني ، بالكتابة أو برفع الأيدي أو بالقيام ، ولهم النظر في تعيين من يستفاد من آرائهم وكيفية انتخابهم"[4] .

[1]– عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة – لبنان – بيروت– مؤسسة الرسالة – ط : 9 – 1423 هـ –2002م – ص:62.

[2]– طه حسين – في الشعر الجاهلي– مصر – القاهرة – دار رؤية للنشر والتوزيع – ط1 :2007 – ص :116 –117.

[3]– الشورى :35 .

[4]– محمد الخضر حسين – نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم– سورية – دمشق – دار النوادر – ط:1 – 1431هـ– 2010م – ص:197 .

فالخلافة حقيقة شرعية ، ونظام كافل لحياة الأمة الإسلامية ، ومن يدرس التاريخ بروية وأناة، يدرك بوضوح أن الخلافة رفعت الشرق مكانا عاليا ، وأنه لم يفقد سيادته ومنعته إلا حين اختل نظامها وسارت في غير سبيلها ، وليس في سنة الخلافة ما تضيق به الدساتير المعقولة أو يمس الحرية المطمئنة ، ولعل الذين عجلوا إلى التنكر لها لم يجدوا إلا شبح الخلافة المشربة بروح استبدادية ، ولو بحثوا فيها من حيث حقيقتها المشروعة ، ونظروا سيرتها يوم مثلها الصِدّيق أو الفاروق ، لوجدوا في سعة نطاقها ما يحفظ حقوق الأمم ، ويطابق مقتضيات كل عصر "[1].

وأكد هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2] .

حيث قال ما ملخصه : المشاورة في الأمر : المراجعة فيه لاستطلاع الرأي الصالح ؛ أي : راجعهم في الأمر لترى رأيهم فيه ، والمراد من الأمر : ما يعرض من أمور الدنيا ؛ من نحو : تدبير الحروب وأما أمور الدين ، فقد أغناه الله عن الشورى فيها بما ينزل عليه من الوحي ؛ وهذه الآية قررت أصلا عظيما من **أصول السياسة الرشيدة** ، وهو : أن لا يستبد ولي الأمر في تصريف الأمور دون أن يأخذ رأي أولي العلم ، وقد قرَّرَتْ هذا الأصل بأبلغ وجه ؛ إذ وجَّهَت الأمر فيه إلى أكبر الناس عقلا ، وأعرفهم بطرق المصالح ، وأقلهم حاجة إلى الإستعانة برأي غيره ، وهو أكمل الخليقة –صلوات الله وسلامه عليه – فليس لأحد بعد هذا أن يتخيل أنه في غنى عن المشاورة بما أوتي من كمال العقل وسداد الرأي[3] .

وهذا المعنى هو الذي أكده صاحب الظلال بقوله : " يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتولاه ، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة

[1]– محمد الخضر حسين – نقض كتاب في الشعر الجاهلي – سورية – دمشق –دار النوادر – ط :1 – 1431هـ-2010م – ص: 188-189 .

[2]– آل عمران : 159 .

[3]– محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل – ص: 392 -393 .

شكا في أن مبدأ الشورى مبدأ أساسي ، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه ...أما شكل الشورى ، والوسيلة التي تتحقق بها ، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى – لا مظهرها- فهي من الإسلام[1] .

وفي الشورى استبانة الرأي الحق من بين آراء متعددة ، وفيها تطييب خواطر من يهمهم أن يدبر الأمر على بصيرة ، وفيها تأليف قلوبهم ؛ بما في مراجعة ولي الأمر لهم من التنبيه على رفعة أقدارهم في نظره ؛ فالإنسان وإن بلغ عقله الغاية لا يستغني عن الإستعانة في مشكلات الأمور بآراء الرجال ، إذ العقول قد تكون نافذة في ناحية من الأمر واقفة عند الظاهر في ناحية أخرى منه ، ولعلك لا تجد عقلا في الناس ينفذ في كل ناحية وجهته إليها[2].

المطلب الثالث :دعوى فصل الدين عن السياسة :

لقد عرض محمد الخضر حسين في تفسيره إلى الرد على مسلكين لفريقين يدعوان إلى فصل الدين عن السياسة .

أحدهما : فريق يعترف بأن للدين أحكاما وأصولا تتصل بالقضاء والسياسة ولكنهم يفكرون أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح ، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب ، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن في أحكام الدين وأصوله ، وقبلوا أن يسميهم المسلمون : ملاحدة ؛ لأنهم مُقِرُّون بأنّهم لا يؤمنون بالقرآن ، ولا بمن نزل عليه القرآن .

وفريق ثاني : رأى أن الإعتراف بأن في الدين أصولا قضائية وأخرى سياسية ، ثم إن الطعن في صلاحها إيذان بالإنفصال عن الدين ...فاخترع هؤلاء طريقا حسبوه أقرب إلى نجاتهم ، وهو أن يدّعُوا أن الإسلام توحيد وعبادات ، ويجحدوا أن يكون في حقائقه ماله مدخل في القضاء والسياسة

[1]- سيد قطب - في ظلال القرآن – ج :1 - 501 .

[2]-محمد الخضر حسين- أسرار التنزيل – ص: 393 .

وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه ، لعلهم يجدون في الناس جهالة أو غباوة ، فيتم لهم ما بيتوا وكلا المسلكين وليد قصور النظر عما لشريعة الإسلام من حكم بالغات .

ثم يجيب عن هذا بأدلة القرآن مشفوعة بفهمه وتحليله لها فيقول :في القرآن شواهد كثيرة على أن دعوته تدخل في المعاملات المدنية ، وتتولى إرشاد السلطة السياسية ، قال تعال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1] .

فكل حكم يخالف شرع الله ، فهو من فصيلة أحكام الجاهلية ، وفي قوله تعالى : ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. إيماء إلى أن غير الموقنين قد ينازعون في أحكام رب البرية ، وتهوى أنفسهم تبدلها بمثل أحكام الجاهلية ، ذلك لأنهم في غطاء من تقليد قوم كبروا في أعينهم ، ولم يستطيعوا أن يميزوا سيئاتهم من حسناتهم[2] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ المائدة : 51 . فَرَض في هذه الآية أن يكون فصل القضايا على مقتضى كتاب الله ، ونبه على أن من لم يدخل الإيمان قلوبهم يبتغون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم ، وأردف هذا بتحذير الحاكم من أن يفتنه أسرى الشهوات عن بعض ما أنزل الله ، وفتنتهم له في أن يسمع لقولهم ويضع مكان حكم الله حكما يلائم بغيتهم[3] .

[1]- المائدة :52 .

[2]- محمد الخضر حسين - رسائل الإصلاح – ص: 189 .

[3]- المصدر نفسه – ص: 189 – 190 .

ففصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين ، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار ، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن.[1]

المبحث الثالث : النظام الإجتماعي :

من أهم المجالات التي ركز محمد الخضر حسين على إصلاحها في تفسيره للقرآن الكريم المجال الإجتماعي ، وهو مجال له أهميته البالغة في عملية الإصلاح ، ولذا أعطاه حقه من العناية ، وحظه من الإهتمام . وقد اقتصرتُ على أمرين يسهمان في كل وقت في إصلاح المجتمع وإنما اقتصرت عليهما لأهميتهما البالغة وظني أنهما يفيان بالغرض في موضوع الإصلاح الإجتماعي وهما :

أ- الدعوة إلى الله ومكانة الدعاة.

ب- نظام الحدود والعقوبات .

المطلب الأول : الدعوة إلى الخير ومكانة الدعاة.

1- الدعوة إلى الخير:

يرى محمد الخضر حسين أن للدعوة الأثرَ الكبير في فلاح الأمم ، لذلك عهد إلى الأمة بأن تقوم طائفة منها على الدعوة إلى الخير وإسداء النصيحة للأفراد والجماعات لذلك عرض محمد الخضر حسين إلى بعض الآيات التي تكلمت عن الدعوة وأثر ذلك في الإصلاح.

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

[1]- محمد الخضر حسين - رسائل الإصلاح – ص: 199 .

[2]-آل عمران :104 .

قال فيها : قال القفال [1]: "الأمة القوم المجتمعون على الشيء الواحد ، يقتدي بعضهم ببعض، مأخوذ من الإتمام وهو الوجه في إيثار التعبير به أيضا في آية : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[2]. فإن لفظ القوم يطلق في اللسان على عدد أقل مما يطلق عليه لفظ ((الأمة)) ولفظ الأمة أليق بسائر الأفراد – لكثرتهم – ولكنه اختير للدعاة اسم الأمة ؛ لأن إشعاره بمعنى اتحادهم وتآلفهم أقوى مما يشعر به لفظ القوم[3] .

فالقرآن يرشد إلى أن يكون دعاة الإصلاح جماعة ، وأن يكون أدب هذه الجماعة الإتحاد والتعاضد . ومن الواجب صرف الهمة إلى مشروع الدعوة حتى تقام على نظام يحفظ الحقائق والمصالح وأما بقاؤها مطروحة إلى داعية الأفراد ، فقد يفضي بها إلى ضياع[4].

لأن : "من سلبيات الدعوة الفردية : أنها قليلة الأثر، ضئيلة الثمرات ، محدودة النتائج، بالرغم مما يبذله الوعاظ والخطباء والمرشدون ، من اهتمام وتحضير وتوعية واتصالات فردية وجماعية على حد السواء" [5].

---

[1]– القفال : محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي ، القفال ، أبوبكر : من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث والأدب ، ولد سنة : (291هـ–904م) .من أهل ما وراء النهر ، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء . وعنه انتشر مذهب ((الشافعي)) في بلاده ، مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون) رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام . من كتبه ، أصول الفقه ((و)) محاسن الشريعة ((و)) شرح رسالة الشافعي .

توفي سنة : 365هـ- 976م .

ينظر ترجمته :الزركلي – الأعلام – ج :6 – ص :274 ؛ النووي – يحي بن شرف – تهذيب الأسماء واللغات – ج: 2 – ص: 282.

[2]– الأعراف :159 .

[3]–محمد الخضر حسين – الدعوة إلى الإصلاح – ص:19 .

[4]– المصدر نفسه – ص 19 .

[5]– عبد الله ناصح علوان – سلسلة مدرسة الدعاة – مصر– القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر– ط :1– 1418هـ–1997م – ج: 2 – ص: 865 .

وإذا كان للدعوة الفردية إيجابياتها وأثرها الذي لا ينكر فإن للدعوة الجماعية الأثر الأكبر في إصلاح المجتمع والمردود الواسع الذي يشمل مختلف مناحي الحياة وكل الطبقات .

يقول **فتحي يكن** :" إن المراقب لما يجري في نطاق العمل الإسلامي ، يلاحظ أن الجهود الفردية غير المرتبطة بتنظيم حركي ، كالتي يبذلها بعض الوعاظ والخطباء ، مآلها إلى الضياع والهدد رغم كثرتها ذلك أن التنظيم الحركي من شأنه أن يستوعب الطاقات الفردية ويوجهها ويختزن القوى المتفرقة وينميها ، لتصبح على مر الزمن تيارا له أثره ومفعوله ، أما جهود الإصلاح الفردي فقد تتحطم إثر بعضها البعض لعجزها عن مواجهة تحديات العصر" [1].

ثم يضيف محمد الخضر قائلا :"**الآية** ناطقة بأن الدعاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة ملقاة على رقاب الأمة ، لا تخلص من عهدتها حتى تؤديها طائفة على النحو الذي هو أبلغ أثرا في استجابة الدعوة وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ....وليست القدرة على الدعوة في قوتي الحجة والبيان وحدها ، بل تأخذ معهما كل ما يتوقف عليه إقامة الدعوة ؛ كوسائل نشرها في بيئة نفقت فيها سوق الفسوق أو خفقت فيها ريح الإلحاد ؛ فهذه الفئة الموعز إليها بالدعاية إلى غير هدى وغير أدب ، قد ملكت لنشر باطلها وسائل أهمها الإنفاق ؛ وإذا وجب على الأمة أن تميط أذى هذه الدعاية عن طريقها ، فخطاب هذا الواجب يتوجه إلى الكتاب والخطباء ، ثم إلى كل من له شئ من القدرة على البذل في سبيل الدعوة ؛ كفتح نواد لإلقاء المحاضرات ، وإنشاء صحف ، أو مساعدة صحف تظاهر الدعوة بإخلاص"[2] .

بهذا يتبين أن الإمام محمد الخضر يدعو إلى مواكبة العصر والإستفادة من الوسائل الجديدة والمتاحة .

---

[1]- فتحي يكن - كيف ندعو إلى الإسلام – لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة- ط:13-1411 هـ -1991م- ص:28-29.

[2]- محمد الخضر حسين - الدعوة إلى الإصلاح - ص: 10-11 .

2- مكانة الدعاة إلى الله:

للدعوة إلى الله عز وجل مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة لأنها رسالة الأنبياء عليهم السلام ورسالة ورثتهم العلماء العاملين وقد انطلق محمد الخضر حسين من قول الله عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] لبيان منزلة القائمين على خطة الإرشاد حيث قال :" **الآية** تومئ إلى أن المخاطبين بها يفضلون على سائر الأمم ، وإنما نالوا هذه الأفضلية بمزية الأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر والإيمان بالله . ومن يطلق النظر فيما يتجشمه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من أخطار ، وما يلاقونه من أذى؛ ثم لا يلوون أعِنّتهم إلى راحة ، ولا يحملون أنفسهم على مصانعة أو إغضاء ، يعرف أن هنالك بصائر ساطعة ، وعزائم متوقدة ، وهمما ينحط أمامها كل عظيم . أفلا يكون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر خيرَ أمة أخرجت للناس ؟"[2] .

وقد أشار أبو حامد الغزالي من قبل إلى أهمية هذه الوظيفة فقال :" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيئين أجمعين ؛ ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد واتسع الخرْق ، وخربت البلاد، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلّا يوم التناد "[3] .

وإذا كان التنزيل قد نوّه بشأن المصلحين ، فإنه ألقى باللائمة وأنحى باللعنة على من يؤتون الحكمة ولا يبسطون ألسنتهم ببيانها فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ

---

[1]- آل عمران :110 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح – ص: 11 .

[3]- الغزالي : أبوحامد – إحياء علوم الدين – ج2 – ص269 .

أَلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾[1].

قال محمد الخضر في تفسير الآية : "**الآية** نزلت في وصف حال فريق من غير المسلمين ؛ ولكن حكمها – وهو استحقاق اللعن – لا يقف عند حدهم ، بل يجري على كل من درس آيات الله ، أو قبض قبضة من أثر هدايته ، ثم أمسك عن بيانها ، والناس في جهالة أو حيرة يتخبطون . وكذلك يقول علماء الأصول : إن مقتبس الأحكام من الآيات لا يقتصر على سبب نزولها ، بل يمشي في تقرير معانيها على قدر ما يسعه عموم لفظها"[2].

ثم إن محمد الخضر بين أن الذمة تبرأ بأداء هذا الواجب وأن العبرة لا تتوقف على الكم –بحيث يجب على الداعية أن يهدي عددا معينا – بل الإسلام ينظر إلى المبادرة التي يقوم بها الدعاة حتى ولو قوبلوا بالرفض وعدم الإستجابة من الجميع فيقول: " وإذا دعا العالم طائفة إلى إصلاح شأن من شؤونهم ، فعتوا عن أمره ،واستكبروا عن إجابته ، حتى أيس من إقبالهم على نصيحته ، واستيقن عدم الفائدة من تذكيرهم ، خلصت ذمته ، وقد حمل بعض المفسرين على ذلك مفهوم الشرط في قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾[3] .

وبيان هذا التأويل : أنك إذا قمت بذكرى قوم على الوجه الأكمل ، ولم ينتفعوا بالذكرى ، وتمادوا على غوايتهم ، فقد قَضَيتَ حق الدعوة ، ولا عليك في أن تصرف عنهم نظرك ، وتدعهم إلى أيام .

---

[1]- البقرة :158 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح : 12 .

[3]- الأعلى : 09 .

أما من دأبه النصيحة العامة –كخطباء المنابر وأرباب الصحف – فلا يحق لهم أن يهجروا الإرشاد ، وإن شهدوا قلة تأثيره في قوم بأعيانهم ، فما يدريهم أن تصادف نفوسا مستعدة للخير ، فتقودها إلى سواء السبيل .

قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1]؛ وما سطع الإيمان في نفس إلا كانت كالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، فابذر فيها من الحكمة والموعظة ما شئت أن تبذر ، فلا تريك إلا نيات صالحةً ، وأعمالا راضية ؛ وكثيرا ما يستخف الناس بالأمر تلقى له الخطبة أو تؤلف فيه المقالة ، فإذا تتابع الترغيب فيه أو التحذير منه ولو من المرشد الواحد ، أخذوا يُعنَوْن بشأنه ، ويتداعون إلى العمل به ، أو الإقلاع عنه[2] .

المطلب الثاني : الحدود والعقوبات

تعريف الحد :

لغة : الحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ، يقال حددت كذا

جعلت له حدا يميز وحد الدار ما تتميز به عن غيرها ، وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره ، وحد الزنى والخمر سمي به لكونه مانعا لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعا لغيره أن يسلك مسلكه[3] . قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾[4].﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٨﴾﴾[5].

[1]– الذاريات :55 .

[2]– الدعوة إلى الإصلاح – ص: 13-14 .

[3]– الراغب الأصفهاني – معجم مفردات ألفاظ القرآن – ص: 84 .

[4]– الطلاق :01 .

[5]– البقرة :228 .

أما **اصطلاحا** : عقوبة مقدرة وجبت حقا للهﷻ ، زجرا على ارتكاب ما يوجبه[1] .

إن الباحث المدقق في الجرائم والفواحش التي رتبت عليها الحدود ، يجدها جرائم بشعة ، ومعاصي موغلة في الإفساد ، وما من واحد منها إلا وهو مخل بواحد من الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها واحترامها وهي :(الدين النفس والعرض والعقل والمال) والتي اتفقت عليها جميع الرسائل السماوية .

فالردة مخلة بحرمة الدين ، والقتل مخل بعصمة الدماء وحرمتها ، والزنى والقذف مخل بحرمة الإنسان والأعراض ، وشرب الخمر مخل بسلامة العقل ، وسلامة الأبدان ، والسرقة مخلة بحرمة الأموال وقطع الطريق مخل بحرمة الدماء ، والأموال والأعراض ، ومخل بحق الأمة في أن تعيش في أمان وسلام.[2]

وهذه الجرائم والمعاصي التي أوجب الإسلام الحد عليها ، يتعدى ضررها إلى الغير بل وإلى الأمة كلها ،كما أنها متفاوتة فيما بينها في الآثار السيئة ،والعواقب الوخيمة ، فمن ثم تفاوتت عقوباتها الدنيوية في نظر المشرع الحكيم [3].

[1]- عبد الكريم زيدان - أصول الدعوة – ص: 280 ؛ عز الدين الخطيب التميمي وآخرون - نظرات في الثقافة الإسلامية - الجزائر - باتنة- دار الشهاب - 1988 م - ص: 214 .

[2]- محمد السيد يوسف - منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع – ص: 458 .

[3]- المرجع نفسه- ص: 458 .

فمقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص وأروش الجنايات ثلاثة أمور : تأديب الجاني ، وإرضاء المجني عليه ، وزجر المقتدي بالجناة[1] .

ومن هنا يقول عبد الكريم زيدان : ((.....إن الشريعة تهتم بطهارة المجتمع ، وإزالة مفاسده، ولا شك أن المجتمع الطاهر العفيف سيساعد كثيرا على منع الإجرام ، وقمع المجرمين ، وسيقوي جوانب الخير في النفوس ، ويسد منافذ الشر التي تُطل منها النفوس الضعيفة ، وفي هذا أيضا ضمان أيضا لتقوية ، النفوس وإعطائها مناعة ضد الإجرام .

ولكن مع هذا كله ، فقد تسول للبعض نفوسهم ارتكاب الجرائم ، فكان لا بد من عقوبة عاجلة توقعها الدولة الإسلامية عليهم زجرا لهم من العودة إليها ، وردعا للآخرين ، الذين قد تسول لهم أنفسهم ارتكاب الجريمة ، وفي هذا استقرار للمجتمع وإشاعة للطمأنينة فيه))[2] .

لكن هذه الحدود التي حدها الشرع بنصوص قاطعة لا تحتمل التأويل وليست من قبيل الظن الذي يمكن الإجتهاد فيه ولهذا تصدى محمد الخضر حسين مستندا –كعادته– إلى نصوص القرآن وفهمه الذي هو فهم سلفه من الراسخين في العلم .

فقد أثار بعضهم في مقال له مسألة (إعادة النظر في النصوص التي وردت فيها الحدود وزعم أن الأمر الوارد في آيتي :**حد السرقة** ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾ .و**حَدِّ الزنا** ﴿ فَٱجْلِدُوا﴾ ليس للوجوب وقد فند محمد الخضر هذا القول بقوله :" وقال صاحب المقال ((فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حد الزنا وحد السرقة ، فنجعل كلا منهما للإباحة لا للوجوب ، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ

[1]– محمد الطاهر بن عاشور– مقاصد الشريعة الإسلامية– تحقيق :محمد الطاهر الميساوي –الأردن– دار النفائس –ط:2 – 1421هـ-2001م – ص :516 .

[2]– عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة – ص:281-282 .

تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[1] ، فلا يكون القطع في السرقة حدا مفروضا لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة ، بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه في بعض الحالات على عقوبة أخرى رادعة ، ويكون شأنه في ذلك شأنَ كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر ، وتقبل التأثر بكل زمان ومكان ، وهكذا الأمر في حد الزنا سواء كان رجما أم جلدا))[2].

هذا ما ادعاه صاحب المقال .

فكان الرد من محمد الخضر حسين : من ينظر في آيات حد السرقة ، وحد الزنا مجردا من كل هوى لم يفهم منها سوى أن من يرتكب السرقة عقوبته قطع اليد ، ومن يرتكب فاحشة الزنا ، عقوبته الجلد ، وأن الأمر في قوله : ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾، وقوله: ﴿ فَٱجْلِدُوا﴾ وارد في الوجوب القاطع ، فإن بناء الأمر بالقطع في آية حد السرقة على قوله : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[3]، وبناء الأمر بالجلد في آية حد الزنا على قوله : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[4] ،يصرفه عن احتمال الإباحة إلى الوجوب ، ذلك أن تعليق الحكم على شخص موصوف بوصف يؤذن بأن المقتضي للحكم هو ذلك الوصف الذي قام بالشخص ، وإذا كان الوصف جناية ؛ مثل السرقة والزنا ، ووضع لها حكما في صيغة ، ولم يذكر حكما غيره لا يصح أن يقال : إن هذا الأمر محتمل للإباحة ؛ كما احتملها الأمر في قوله تعالى : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ .

[1]- الأعراف : 29 .

[2]- ينظر : محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص:135 .

[3]- المائدة :40 .

[4]- النور :2 .

ثم إن اتصال آية السرقة بقوله : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

صريح في الدلالة على أن الأمر للوجوب ؛ لأنه واقع في الآية موقع المنبه على أن من تتحقق فيه وصف السرقة ، فهو مستحق لهذه العقوبة (عقوبة القطع) ، وإذا قطع الشارع في جناية بعقوبة، وصرح أنها جزاء الجناية ؛ أي إنها على قدر جنايته ، لم يكن للأمر بهذه الجناية وجه غير الوجوب ، وفي وصفه الحد بأنه ((نكال من الله)) إيذان بأن من وقف في سبيل إنفاذه ، فقد حارب الله ، ومن رأى أن غيره من العقوبات أحفظ للمصلحة ، فقد زعم أن علمه فوق علم الله[2].

ثم رد في مناسبة أخرى على من زعم أن الرجم الذي فعله رسول الله ﷺ كان سياسة لا حدا معتمدا في فهم ذلك على قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِے ٱلاَرْضِ فَسَاداً اَنْ يُّقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ اَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلاَرْضِ ﴾ [1]- المائدة : 35 ..

فادعى صاحب الشبهة أن الزنا من الإفساد في الأرض وأنه يمكن أن يكتفى فيه بالتغريب في قوله تعالى : ﴿ يُنفَوْاْ ﴾ .

- أجاب محمد الخضر حسين : ((إن رأى صاحب هذا الرأي أن مجرد الزنا سعي في الأرض بالفساد ، **فالآية** لا يراد منها الفساد الذي يحدث بالمعصية على إطلاقها ، إنما يراد منها فساد معهود ، وهو قطع الطريق ..... فلو كان الزنا داخلا فيها ، ما نص على عقوبته في آية النور بالجلد وفي الأحاديث بالرجم . وتأويل القرآن والأحاديث الصحيحة على غير ما يراد منها يعد تشريعا جديدا .

[1]- المائدة : 40 .

[2]-محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن – ص: 136 وما بعدها .

أما قوله تعالى : ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[1] فقد فسر العلماء المحصنات بالحرائر، والذي يمكن أن تعذب الإماء بنصفه ، هو الجلد ، والقرآن يطلق المحصنات على الحرائر))[2] .

أما عن رده على مدعي أن الأمر للإباحة في قوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوا﴾ ، فقد نص على ذلك بقوله : ((وكذلك اتصال آية حد الزنا بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ ، يمنع من حمل الأمر فيها على الإباحة ؛ فقد عرف الشارع أن في الناس من تثور في نفسه العاطفة العمياء ، ولا ينظر إلى المصالح بعقل سليم ، فيرى أن في جلد الزاني إفراطا في العقوبة فحذر من الإنقياد إلى تلك العاطفة الجاهلة ، ثم نبه على أن مقتضى الإيمان : تنفيد أحكام الله في غير هوادة فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

وإذا نظرت بعد هذا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[3]، رأيته كيف أمر بأن يقام هذا الحد بمرأى طائفة من المؤمنين ؛ ليكون في إعلانه وإذاعته الزجر البالغ ، وفي الأمر بإعلان العقوبة قصدا للمبالغة في الزجر ما يؤكد أن الأمر بالجلد وارد على سبيل الوجوب ؛ لأن الشارع يكره إشاعة ما يدر عن الأشخاص من آثام ، فما أمر بإعلان الحد الذي يستدعي إشاعة ما وقع من الفاحشة إلا حيث أصبح الحد أمرا حتما ، وكان إعلانه من متمماتها يُقصد بالحد من الزجر)) [4].

---

[1]- النساء : 35 .

[2]- محمد الخضر حسين – دراسات في الشريعة الإسلامية – سورية – دمشق – دار النوادر- 1431هـ-2010م- ص:227-228 .

[3]- النور : 2 .

[4]- بلاغة القرآن – ص: 139 .

فهذا تمام الفصل الثالث والذي كان فصلا تطبيقيا لإبراز ملامح الإصلاح في مختلف شؤون الأمة العقدية والسياسية والإجتماعية أظهر فيه محمد الخضر حسين تعاملا فريدا وفهما دقيقا لآي القرآن الكريم التي عالجت هذه الجوانب حيث أبرز علمَ التفسير وقدرتَه على إيجاد الحلول لمشكلات الأمة ، والإجابات لما يثار داخل الأمة من التساؤلات أو الشبهات والقصد من وراء ذلك إبراز صلاح الشريعة وإصلاحها لكل زمان ومكان وإظهار أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا يمكن للأمة أن تستغني عنه أبدا .

الخاتمـــــة

في ختام هذا البحث أحمد الله الذي يسر إتمامه بفضله وكرمه وأعود فألخص أهم النتائج التي توصلت إليها :

- استطاع محمد الخضر حسين أن يوظف التفسير لإصلاح المجتمع .

- أعطى للدعاة والمصلحين منهجا في التعامل مع الخصوم .

- وسائل التواصل مع المجتمع هي أنجع وسيلة لإيصال التفسير للآخرين .

- مسايرة تفسير محمد الخضر حسين للعصر بما حواه من الكثير من الجوانب الإصلاحية .

- اقتصار محمد الخضر حسين على الهدف الذي تريده الآيات دون الإكثار من الخلافات والأقوال.

-استقلالية محمد الخضر حسين في التفسير مما جعلته تفسيرا عصريا يعكس بصدق وبوضوح توجهات العصر.

- أسلوب الشيخ في تناول التفسير يشعر المسلم أن القرآن أهم دستور يضمن للأمة السلامة ، ويخرج بها من بوتقة التخلف لمعالجة أهم المعضلات .

وفي الأخير هذا ما استطعت جمعه مما يتعلق بتفسير علم من أعلام الإسلام جزائري الأصل تونسي المنبت والنشأة شامي الرحلة والتدريس أزهري الوظيفة مصري المدفن .

وما كان في هذا البحث من سداد وتوفيق فهو من الله وحده وما كان من تقصير وخطأ فهو مني .

أجدد في هذه الخاتمة شكري الكبير للأستاذ الدكتور سيب خير الدين الذي تكرم فشرفني بإشرافه على هذه المذكرة ومتابعته لها ، كما أشكر اللجنة الكريمة التي قبلت قراءة الموضوع وتصويب ما يجب تصويبه وتعديل ما يمكن تعديله فجزاكم الله عني كل خير وسدد خطاكم ودمتم في خدمة العلم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره يحظى عبادُه بالمزيد .

والله من وراء القصد وله الحمد من قبل ومن بعد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطاهرين ورضي الله عن الصحب أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	السورة	الصفحة
		سورة الفاتحة	
﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾	02		61
		سورة البقرة	
﴿وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	03		92، 94
﴿أَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	14		92
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ . وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ	21، 22		54، 107
﴿۞ إِنَّ أَللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِۦٓ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا ﴾	25		91، 103
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ۝٢٨﴾	28		103
﴿ فَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُّفْسِدُ ﴾	29		90، 105
﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ۝٣٥﴾	34		71
﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ۝٣٧﴾	37		76
﴿وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۝٣٨﴾	38		77
﴿يَـٰبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ۝٤٦﴾	46		72
﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِے نَفْسٌ وَلا ۝٤٧ يُوخَذُ	47		71، 91
﴿ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	53		83
﴿فَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ﴾	70		108
﴿ وَأُشْرِبُواْ فِے قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾	93		67
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ۝٩٧﴾	96		74
﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾	105		56، 60، 75
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾	107		88
﴿بَلِىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ۝١١١﴾	111		80

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾	123	94
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾	129	39
﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	131	65
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	135	72
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا ﴾	158	131
﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾	165	89
﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾	178	88
﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	185	63
﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	188	74
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴿١٩٣﴾﴾	193	44
﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴿٢٢٩﴾﴾	228	132
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	274	73
سورة آل عمران		
﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾	46	119، 81 120،
﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿٤٦﴾﴾	48	81 ،79
﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾	51	45
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ...﴾	52	72
﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ.....فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾	54	93 ،45
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ﴿٥٩﴾﴾	58	112
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾	90	71
﴿۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴿١٠٤﴾﴾	104	127
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	130

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ	159	44، 124
سورة النساء		
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾	3	47
﴿عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾	33	100
﴿أُحْصِنَّ فَإِذَآ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ﴾	35	137
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ ﴿٤١﴾﴾	41	72
﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٨٢﴾﴾	81	94
سورة المائدة		
﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴿١﴾﴾	01	100
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَه﴾	35	136
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ ...﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا	40	135، 136
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ عَلَيْه..... ﴾	50	98
﴿۞ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.	51	128
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴿٥٠﴾﴾.	52	126
﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾	81	56
سورة الأنعام		
﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	166	56
سورة الأعراف		
﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴿٣١﴾﴾	29	135
﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ﴿١٦٠﴾﴾	117	119
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ءَ﴾	157	83
﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ ﴿١٥٩﴾﴾	159	128
﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ ﴾	188	105

سورة الأنفال		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلهِ﴾	24	45، 78
﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ ﴿٢٥﴾﴾	25	56
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ.....﴾	26	43
سورة التوبة		
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴿٢١﴾﴾	21	76
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾	123	54
سورة يونس		
﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٦٤﴾﴾	64	75
﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ.....﴾	65	45
سورة يوسف		
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	86	77
﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾	96	90
سورة إبراهيم		
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾	36	72
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ ﴿٩﴾﴾	9	98
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾	72	66
سورة النحل		
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ ﴿٤٤﴾﴾	44	77
سورة الإسراء		
﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾﴾	10-9	57
﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ﴿٣٢﴾﴾	32	71

سورة الكهف		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِفَتَيٰهُ لَآ أَبْرَحُ ﴿٦٠﴾﴾	59	108
﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾	62	108
سورة مريم		
﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ ﴿٢٨﴾﴾	27	116
سورة طه		
﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾	82	58
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴿١١٥﴾﴾	112	95
سورة الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ ﴿٢٢﴾﴾	22	54
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادىٰ رَبَّهُۥٓ .. ﴿٨٣﴾﴾	83-82	46
﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلاَكْبَرُ ﴿١٠٣﴾﴾	102	76
سورة الحج		
﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ ﴾	26	93 ،81
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴿٧٥﴾﴾	73	111
سورة النور		
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ ﴾	2	137 ،135
﴿وَلاَ يَاتَلِ ٱوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾	22	78
سورة النمل		
﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ﴿٦٥﴾﴾	67	104
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ ﴾	21	46
﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾	32	116 ،115
﴿۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَآ أَحَدٍ من رجالكم ﴾	40	112

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٤٧﴾﴾	47	75
سورة سبأ		
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾	14	104
سورة يس		
﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾	68	54
سورة الصافات		
﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾	103	89
سورة ص		
﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ..... ﴾	20	45
﴿ .....لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾	24	45
﴿ مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾	41	93
سورة الزمر		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.	70	54، 89
سورة غافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ ﴿٢٦﴾﴾	26	54
سورة فصلت		
﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾	43	61
سورة الشورى		
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	35	124
سورة الذاريات		
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾	55	132
سورة الحديد		
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾	26	69
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ ﴾	08	79

سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلذِے بَعَثَ فِے ٱلۡأُمِّيِّيۧنَ رَسُولٗا ﴾	02	35
سورة الطلاق		
﴿ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَنۡ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾	01	132
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	26	105
سورة الأعلى		
﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩﴾	09	131
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِے ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨﴾	18	72

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ	80
إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا	77
بلِّغوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ	82
تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا مَسَكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَةَ نَبِيِّهِ	97
الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى	64
لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَ لَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُو آمَنَّا	82
لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلَاثَةٌ	80
مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ ..	117
مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ	116
مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَرَآى خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ وَ لْيَفْعَلْ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ	79
مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ	79
مَنْ قَذَفَ ذِمِيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ بِسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ	79
مَا مِنْ مُسْلِمْ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَ لَا	63

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	قائله	القافية	الصفحة
ردُّوا علَى مَجْدِنَا الذِكرَ الذِي ذَهبَا	محمد الخضر حسين	**الباء**	09
صَوْتُ حَقٍّ دَعَا الْمَلِيكَ فَلَبَّى مُسْرِعًا وَالْوَزِيرَ والْفَلاَّحَا	محمد العيد آل خليفة	**الحاء**	17 ، 18
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنَ ا وَخَفْقِ البُنُودِ	أبو الطيب المتنبي	**الدال**	66
لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ	طرفة بن العبد		66
و اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ أَرْفَعُ رُتْبَةً وَأَجَلُّ مُكْتَسَبٍ وَأَسْنَى مَفْخَرِ	عبد الملك بن إدريس الوزير	**الراء**	08
إِذَامَا الْقَلْبُ أُشْرِبَ حُبَّ شَيْءٍ فَلَا تَأْمَلْ لَهُ الدَّهْرَ انصرافا	غير معروف	الفاء	**67**
إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعُ وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جهل	المتنبي ، أبو الطيب	**اللام**	**66**
أَسَيِّدَنَا قَاضِي القُضَاةِ وَمَنْ إِذَا بَدَا وَجْهُهُ اسْتَحْيَا لَهُ القَمَرَانِ	صلاح الدين الصفدي	**النون**	**67، 68**
لَقَدْ سَوَّسْتَ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى تَرَكْتَهُمُ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ	الحطيئة		**121**

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة	الأعلام	الصفحة
حرف الهمزة		البيضاوي	06، 48 ، 55 ، 60، 62
إبراهيم عليه السلام	72 ، 90 ، 94	بيرم الثاني	49 ، 50
آدم عليه السلام	94 ، 95، 106	البهي الخولي	43
الأخضري ، عبد الرحمن	7	البدر الغزّي	50
أحمد بن حنبل	63 ، 103	**حرف التاء**	
أحمد بن علي الفيومي	68	التقي السبكي	50
الأزهري	114	تقي الدين بن يحي	48
الأشموني	07	ابن التهامي الرباطي	50
ابن الانباري	86	التاودي	6
إبراهيم العوامر	14	ابن التِّهامي الرِّباطي	49
أحمد تيمور باشا	9 ،10 ، 11 ، 14	الترمذي	63
أحمد بن المبارك اللمطي	49	ابن تيمية	70
أحمد العمادي المالكي	48	**حرف الجيم**	
الأمير الصغير	49	جمال الدين الأفغاني	23، 40
الأمير الكبير	48 ، 49	ابن جماعة	60
الآلوسي	61	جعيط عبد العزيز	14
أحمد زرُّوق	50	جمال الدين القاسمي	09 ، 15
أحمد بن إبراهيم النجدي	49	الجلال المحلي	48
أحمد بابا التنبكتي	47 ، 49	ابن جرير	81
أحمد دحلان	49	جلال الدين السيوطي	48 ،49 ، 63 ،86
أنور الجندي	51	**حرف الحاء**	
ابن الأثير	90	أبو حامد الغزالي	36 ، 132
حرف الباء		أبوحيان	50، 61
بدر الدين الحَمَوي	50	حسن البنا	42
البخاري	63 ، 80 ، 82 ، 124	حسن الشريف	48
البابلي	48 ، 49	الحسين بن علي النفطي	02
البهاء حسين علي نوري	111	الحسن بن علي بن أبي طالب	117
أبو البقاء	123	الحسين بن علي بن أبي طالب	117
		الحسن البصري	81

		سالم السنهوري	48 ، 49
الحطيئة	122	أبو سعيد الخدري	63
ابن حجر الهيتمي	49	أبو سليمان الداراني	38
أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت	61	السبكي ، تقي الدين	67
ابن الحاجب	64	سعد الله، أبوالقاسم	14
أبو الحسن الأشعري	102	السخاوي	50
حليمة السعدية	02	سقين	50
حسن العجيمي	48	ابن سيدة	113
حرف الخاء		سعيد بن جبير	81
ابن خلدون	27 ،49 ، 55	ابن سيد الناس	50
خليل بن اسحاق	07	سارتر	20
الخفاجي	62	سيد قطب	42 ، 98
الخضر عليه السلام	109	ابن السكيت	20
حرف الدال		**حرف الشين**	
الدردير	07	الشرباصي ، أحمد	28
الدُّمْهُوجي	49	الشاذلي بن صالح الشريف	48
دوركايم	20	الشمس العلقمي	48
حرف الراء		الشهاب الخفاجي	62
الرازي	62	الشاطبي أبو اسحاق	74 ، 86 ، 119
رشيد رضا	09 ،23 ،25	**حرف الصاد**	
حرف الزاي		ابن صدِّيق الرسَّام	49
أبو زرعة العراقي	49	الصعيدي	48
الزمخشري	60، 73	**حرف الطاء**	
الزجاج	90	طه حسين	10 ، 64 ، 90 ، 124
زين العابدين بن الحسين	3	طنطاوي جوهري	23
زكريا الأنصاري	49 ، 50	ابن طريف الشاوي	50
زين الدين ، العراقي	49	طرفة بن العبد	66
حرف السين		أبو الطيب المتنبي	66
السراج عمر الجامي	48	**حرف العين**	
السراج البلقيني	49	عبد الحميد بن باديس	14 ،20، 23 ،36
		عمار الجزائري	6

		حرف الغين	
عبد الحليم محمود	**15 ، 43**	ابن غازي	**49 ، 50**
عبد الرحمن بن حسن	**49**	الغيطي	**49 ، 50**
عبد الله بن عمرو بن العاص	**82**	**حرف الفاء**	
أبو عبيدة	**90**	فاطمة الزهراء	**117**
عبد الرحمن الجبرتي الحنفي	**49**	الفاضل بن عاشور	**12**
عبد الله بن سالم البصري	**48**	الفيروز أبادي محمد	**49 ، 64**
ابن عباس	**81 ، 86**	فتحي يكن	**131**
ابن عطية الأندلسي	**62 ، 117**	الفضيل الورتلاني	**11**
عمر بن الخطاب	**56**	فريد وجدي	**23 ، 53**
العسقلاني ، ابن حجر	**49 ، 82**	فرويد	**20**
عثمان الدِّيَمي	**49**	**الفراء**	**122**
عبد العزيز بن فهد	**50**	**حرف القاف**	
عبد الكريم زيدان	**136**	القصار	**50**
العروسي	**49**	القلقشندي	**50**
ابن عرفة	**49**	ابن قيم الجوزية	**63 ، 90**
عمر بن الشيخ	**5 ، 48 ، 50**	القادياني ، غلام أحمد	**111**
عطاء بن أبي رباح	**81**	القفال ، محمد بن علي	**130**
علي الأجهوري	**48**	**حرف الكاف**	
العضد	**48**	ابن الكويك	**49**
علي بن الأمين	**49**	ابن كثير	**69 ، 98**
عمر بن اليزيدي	**48**	**حرف الميم**	
ابن العربي	**60 ، 61، 62 ، 115**	محمد عبده	**23 ، 24 ، 38 ، 39 ، 40 ، 43**
عبد المجيد اللبان	**11**	محمد الغزالي	**43**
عبد الفتاح أبو غدة	**14 ، 16 ، 48**	محمد عقيلة المكي	**48**
عبد الباقي	**06**	محمد بن الخوجة الحنفي	**49**
عبد الرزاق البيطار	**15**	محمد بهجة البيطار	**9 ، 14، 15**
عبد القاهر الجرجاني	**65**	محب الدين الخطيب	**11**
عيسى عليه السلام	**80 ، 120 ، 121**	محمد الشريف	**48 ، 49**
علي بن أبي طالب	**117**	محمد الطاهر بن عاشور	**25 ،26 ، 52**
		محمد المكي بن عزوز	**4، 05 ،36 46، 47،57**

		محمد بن الصدِّيق	49
محمد بن سالم الحفني	49	محمد الغرياني	48
محمد الشرنبلالي	49	محمد النخلي	14، 52
محمد المكي بن الحسين	3	محمد حسين الذهبي	14
محمد النجار	5 ،25 ، 49 ،50 ، 52	محمد صالح الرَّضَوي	53
محمد أبو خيضر	49	محمد المحجوب	49
محمد الكامل	04	محمد بن أحمد بن الخوجة	53
محمد بيرم الرابع	50	محمد بن جابر الوادِيَاشي	50
محمد المخزومي	48	محمد بيرم الثالث	48 ، 54
محمد الخراشي	12	المنجور	50
محمد الصادق عرجون	14	ابن أبي المجد	50
محمد صالح الرَّضَوي	49	المقري ، أحمد بن محمد علي	64
محمد بن أبي السُّعود الفاسي	49	مصطفى بن عبد الرحمن	49
محمد العيد آل خليفة	16	مرتضى الزبيدي	49
محمد بن سليمان المغربي	48	محمد إقبال	23
مالك بن أنس	63 ، 85	ابن الملقن	49
مجاهد بن جبر	81	**حرف النون**	
مالك بن نبي	23	نيتشة	20
ابن مالك	64	نابليون	31
موسى عليه السلام	83، 88 ،109 ، 119	النهروالي، قطب الدين	49
محمد سعيد رمضان البوطي	13 ، 14، 53، 108	ابن أبي النعين الغساني	49، 49
المدني بن عزوز	49	الندوي : أبو الحسن	04 ، 15
محمد بن أحمد بن مرزوق	50	**حرف الواو**	
محمد بن مكرم بن منظور	64	وهبي سليمان غاوجي الألباني	14
محمد البشير الإبراهيمي	16	الونشريسي	50
مريم عليها السلام	125	الونيسي ، حمدان	55
مصطفى بن عزوز	2 ، 3	**حرف الهاء**	
الماوردي	63	هيجل	21
مجاهد	81	الهامل	04
		ابن هشام الأنصاري	65
		أبو هريرة	82

حرف الياء			
يعقوب عليه السلام	**77**		
يحيى بن شمس الدين الكرماني	**48**		
يوسف الدجوي	**53**		
يوسف الأرميوني	**49**		
يوسف الصاوي	**48**		

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المصادر:

1- محمد الخضر حسين

2- أسرار التنزيل - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1- 1431هـ-2010م.

3- الدعوة إلى الإصلاح - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1- 1431هـ-2010م.

4- رسائل الإصلاح- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م.

5- الهداية الإسلامية- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م .

6- بلاغة القرآن- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م .

7- تونس وجامع الزيتونة- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م .

8- ديوان خواطر الحياة- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م.

9- محاضرات إسلامية - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 -1431هـ-2010م.

10- محمد رسول الله وخاتم النبيين- سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م.

11- نقض كتاب في الشعر الجاهلي - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010.

12- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010 م.

13- كتاب الرِّحْلات - - سورية -دمشق - دار النوادر -1431هـ-2010م .

14- هدى ونور - سورية – دمشق - دار النوادر- ط:1 - 1431هـ-2010م.

15- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - سورية -دمشق - دار النوادر – ط :1 - 1431 هـ- 2010م.

المراجع:

الكتب المطبوعة

16- إحسان إلهي ظهير

القاديانية دراسات وتحليل – باكستان – لاهور- إدارة ترجمان السنة- ط:16- 1404هـ-1983م .

17- **أحمد بن حنبل :**

مسند أحمد بن حنبل -- تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين – لبنان – بيروت– مؤسسة الرسالة – ط:1 – 1416- 1995م .

18- أحمد قاضي شهبة

طبقات الشافعية – لبنان – بيروت – عالم الكتب- ط 1 : 1407هـ

19- أحمد تيمور باشا

أعلام الفكر الإسلامي – مصر- دار الآفاق العربية – ط:2 – 1423هـ – 2003م.

20- أحمد بن محمد الأدنروي

طبقات المفسرين- ت : سليمان بن صالح الخزي – السعودية -المدينة المنورة – مكتبة العلوم والحكم – ط : 1 – 1417هـ – 1997م .

21- إسماعيل باشا

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي- دون طبعة أوسنة طبع .

22- أنور الجندي

تاريخ الصحافة الإسلامية – مصر – دار الأنصار – دون طبعة .

23- **البخاري :محمد بن اسماعيل**

الجامع الصحيح - تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر – لبنان – بيروت - دار طوق النجاة - ط1 : 1422هـ.

24- **ابن باديس: عبد الحميد**

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير - ت : أبو عبد الرحمن محمود – الجزائر- دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم – ط:1-1430هـ-2009م.

25- **البـــــوطي : محمد سعيد رمضان**

كبرى اليقينيات الكونية-دار الفكر- سورية- دمشق- دار الفكر- ط :8 :1420هـ-1999م .

26- **البـــــــــوطي : محمد سعيد**

يغالطونك إذ يقولون - سورية- دمشق- دارالفارابي- ط: 2- 1421 هـ – 2000م .

27- **البـــــــــــــوطي :محمد سعيد**

من الفكر والقلب – الجزائر- عين مليلة - دار الهدى للطباعة والنشر-1990 .

28- **بـنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن**

قراءة في وثائق البهائية – مصر – القاهرة- مركز الأهرام للترجمة والنشر - ط1 : 1406هـ-1986م .

29- **ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم**

مقدمة في أصول التفسير- تحقيق : الداني بن منيرآل زهوي - بيروت – صيدا- المكتبة العصرية - 1433 هـ-2012م .

30- **التهانوي : محمد علي**

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - ت : علي دحروج - مكتبة لبنان ناشرون - ط1 : 1996 .

31- **البكري : أبوعبيد عبد العزيز بن محمد**

المسالك والممالك- لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ط:1 – 1992م .

32- جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الإسنوي

طبقات الشافعية- لبنان -بيروت - دار الكتب العلمية- ط: 1 - 1407هـ .

33- الجـــــــــــــــوهري :إسماعيل بن حمّاد

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - ت : أحمد عبد الغفور عطّار- لبنان - بيروت - دار العلم للملايين – ط: 3 - 1404هـ- 1984م .

34- الحـــــــــــــــــازمي :إبراهيم بن عبد الله

موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر- السعودية- الرياض - دار الشريف للنشر والتوزيع- ط:1 - 1419هـ .

35- خـــــــــــــــــــالد عبد الرحمان العك

خالد عبد الرحمن العك - أصول التفسير وقواعده- لبنان – بيروت – دار النفائس – ط:2- 1406هـ-1987م

36- ابن خـــــــــــــــــــلدون : عبد الرحمن بن محمد

المقدمة - ت :عبد الله محمد الدرويش – سورية - دمشق - دار يعرب – ط:1 - 1425هـ- 2004 م.

37- ابن خلّكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر

وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان – تحقيق : إحسان عباس- لبنان - بيروت - دار صادر- ط:1 - 1397هـ- 1977م .

38- أبـــــــــــــو داود: سليمان بن الاشعث السجستاني

سنن أبي داوود- تحقيق :(شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قره بللي)- - سورية – دمشق – دار الرسالة العالمية-ط:1- 1430هـ-2009م

39- ابـــن دريـــــــــــــــــــــــــــــد : أبو بكر محمد بن الحسن

جمهرة اللغة – ت : رمزي منير بعلبكي- لبنان – بيروت – دار العلم للملايين – ط :1- 1987م .

40- الذهـــــــــــــــــبي : محمد حسين

التفسير والمفسرون – مصر – القاهرة – مكتبة وهبة- ط : 7 – 2000م.

41- الـــــــــــــــــــرازي : محمد بن أبي بكر

مختار الصحاح – لبنان- بيروت- مكتبة لبنان – ط :1 – 1986م.

42- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد

معجم مفردات ألفاظ القرآن –تحقيق : يوسف محمد البقاعي – لبنان – بيروت- دار الفكر – 1432هـ- 2010 م

43- الـــــــــــــــــزركلي :خيرالدين

الأعلام – لبنان – بيروت – دار العلم للملايين – ط:15 –2002م .

44- الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني

تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق : محمود محمد الطناحي- الكويت – مطبعة حكومة الكويت – ط :2 – 2004م

45- الزرقاني :محمد عبد العظيم

مناهل العرفان في علوم القرآن – ت : أحمد شمس الدين – لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية – ط :1 – 1424هـ-2003م.

46- زَرُّوق : أبو العباس أحمد بن عيسى الفاسي

قواعد التصوف – ت :عبد المجيد خيالي- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية- ط :2: 1426هـ-2005م .

47- السبكي : تاج الدين عبد الوهاب

طبقات الشافعية الكبرى – لبنان – بيروت – دار المعرفة- ط:2 – 1401هـ.

48- **ســــــــــــــــعد الله : أبو القاسم**

تاريخ الجزائر الثقافي - لبنان – بيروت - دار الغرب الإسلامي – ط:1- 1998 م .

49- **سيـــــــــــــــــــــد سابق**

العقائد الإسلامية - مصر –القاهرة – دار الفتح للإعلام العربي- ط :10 - 1420هـ-2000م .

50- **سيـــــــــــــــــــــد قطب**

سيد قطب - العدالة الإجتماعية في الإسلام - مصر – القاهرة – دار الشروق – ط:13 – 1413هـ-1993م .

51- **سيـــــــــــــــــــــد قطب**

في ظلال القرآن - مصر – القاهرة- دار الشروق – ط:32-1423هـ-2003م .

52- **الشاطبي : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي**

الموافقات في أصول الشريعة- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية - ط:1- 1422 هـ-2001م .

53- **صـــــــــــــــــــــلاح عبد الفتاح الخالدي**

تعريف الدارسين بمناهج المفسرين – سورية – دمشق - دار القلم – ط :2 - 1406هـ-1986م.

54- **الصـــــــــــــــفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك**

الوافي بالوفيات - تحقيق : (أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى) - لبنان – بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط: 1 :1420هـ-2000م.

55- **طـــــــــــــــــه حســـــــــــــــــــين**

في الشعر الجاهلي - مصر- القاهرة - دار رؤية للنشر والتوزيع- ط:1 :2007 .

56- **ابن عبد البـــــــــــــــــر : أبـــــــــــو عمر بن يوسف**

جامع بيان العلم وفضله – ت : (ماهر ثملاوي – حسن شلبي)– سورية – دمشق – مؤسسة الرسالة ناشرون – ط :1 – 1433هـ – 2012 م.

57– ابـــــــــــــــــــن العربي : أبو بكربن محمد المالكي

العواصم من القواصم – مصر– مكتبة الأنصار– ط:1– 1427هـ– 2006م

58– ابـــــــــــــــــــن أبي العز الحنفي :علي بن علي بن محمد

شرح العقيدة الطحاوية ت :(عبد الله بن عبد المحسن التركي،شعيب الأرنؤوط) – لبنان– بيروت– مؤسسة الرسالة – ط:2 – 1421هـ–2001م .

59– عـــــــــــــــــــادل نـــــــــــــــــــويهض

معجم المفسرين – لبنان – بيروت –مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر– ط:3 – 1409هـ–1988م.

60– عبـــــــــــــــــــد الحليم محمـــــــــــــــــــود

الحمد لله هذه حياتي – مصر– القاهرة – دار المعارف – ط : 3 دون سنة طباعة .

61– عبـــــــــــــــــــد الحي الكـــــــــــــــــــتاني

فهرس الفهارس والأثبات–لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ط:2 – 1402هـ/1982م.

62– عبـــــــــــــــــــد الكـــــــــــــــــــريم زيدان

أصول الدعوة – لبنان – بيروت– مؤسسة الرسالة – ط :9 –1423هـ– 2002م .

63– عبـــــــــــــــــــد اللطيف بن علي السلطاني

في سبيل العقيدة – الجزائر– قسنطينة– دار البعث للطباعة والنشر– ط:1 – 1402هـ–1982م .

64- عبـــــــــــــــــد الله ناصـــــــــــح علوان

سلسلة مدرسة الدعاة – مصر- القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر- ط :1- 1418هـ-1997م .

65- عبـــــــــــد الماجد الغوري

أبوالحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب - سورية - دمشق – دار - ابن كثير - ط: 2 :1420هـ -1999م .

66- عـــــــــــز الدين الخطيب التميمي وآخرون

نظرات في الثقافة الإسلامية- الجزائر – باتنة - دار الشهاب - 1988م دون طبعة .

67- عـــــــــــــــــــــــــطية محمد سالم

من علماء الحرمين – السعودية- المدينة النبوية- دار الجوهرة – ط:1 - 1426هـ.

68- عـــــــــــــــــلي الرضـــــــــــــــا الحسيني

الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين - سورية - دمشق- دار النوادر - 1431هـ- 2010م .

69- عـــــــــــــــمر رضـــــــــا كـــــــــــــــــحالة

معجم المؤلفين - لبنان – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط:1- 1414هـ- 1993م.

70- علي بن نجيب الزهراني

الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر- السعودية - مكة- دار طيبة - ط:2 - 1418 هـ – 1998 م.

71- **ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب**

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ت : عبد السلام عبد الشافي محمد – لبنان – بيروت– دار الكتب العلمية – ط:1 – 1413هـ-1993م .

72- **ابـــــــــن عـــــــاشور : محمد الطاهر**

أصول النظام الإجتماعي في الإسلام – – مصر – القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر– ط :2 –1427هـ-2006م .

73- **ابـــــــــــــــــن عاشور: محمد الطاهر**

مقاصد الشريعة الإسلامية – ت :محمد الطاهر الميساوي– الأردن – دار النفائس – ط :2 – 1421هـ-2001م.

74- **الغـــــــــــــــــــزالي : أبـــــــو حامد**

إحياء علوم الدين – لبنان– بيروت – دار الفكر– ط :1 –1423هـ-2003م .

75- **الغـــــــــــــــــــــــزالي :أبـــــــــوحامد**

فضائح الباطنية – تحقيق: عبد الرحمن بدوي–الكويت – حَوَلِّي– مؤسسة دار الكتب الثقافية – ط:1-1383هـ- 1964م .

76- **أبـــــــــــــــــــــــوغدة : عبـــــــــــد الفتاح**

إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات عبد الفتاح – تحقيق :محمد بن عبد الله آل رشيد – السعودية – الرياض– مكتبة الإمام الشافعي – ط :1 – 1419هـ-1999م .

77- **الفيـــــــــــــــــــــروز آبادي :مجد الدين محمد بن يعقوب**

القاموس المحيط – تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي – سورية– دمشق – مؤسسة الرسالة– ط : 8 – 1426هـ – 2005م.

78- **أبـــــــــــــو الفتح :ناصر المـــــــــــــــــــــطرزي**

المغرب في ترتيب المعرب – تحقيق :(محمود فاخوري ، عبد الحميد مختار)– سورية – حلب – مكتبة أسامة بن زيد – ط: 1 – 1399هـ-1979م .

79- **الفاضل بن عاشور**

الحركة الفكرية والأدبية في تونس – تونس – الدار التونسية– ط :2 – 1974.

80- **الفاضل بن عاشور**

تراجم الأعلام – تونس – الدار التونسية – بدون طبعة .

81- **القشيري : أبو القاسم النيسابوري**

الرسالة القشيرية – تحقيق : معروف مصطفى زريق – بيروت –صيدا – المكتبة العصرية 1432هـ- 2011هـ بدون طبعة.

82- **ابن القيم :أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب**

روضة المحبين ونزهة المشتاقين – لبنان – بيروت– دار النبلاء -1982م دون طبعة.

83- **ابن القيم ، أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب**

مدارج السالكين – لبنان– بيروت –دار الكتب العلمية–دون طبعة.

84- **القـــــــــــــــــرضاوي : يوسف بن عبد الله**

كيف نتعامل مع القرآن – مصر – القاهرة – دار الشروق – ط: 4 – 1425هـ-2005م.

85- **القـــــــــــــــــــــرضاوي يوسف بن عبد الله**

الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته – سورية – دمشق – دار القلم – ط: 1 – 1422هـ -2001م .

86- **ابـــــــــــــن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي**

تفسير القرآن العظيم – لبنان – بيروت – دار ابن حزم للطباعة والنشر – ط:1 – 1423هـ – 2002م .

87- **كمال عجالي**

الفكر الإصلاحي في الجزائر– الجزائر– وزارة الثقافة– 2007م .بدون طبعة.

88- مـــــــــــــــــــــــــالك بن أنس

الموطّأ – ت : نجيب ماجدي – بيروت – صيدا- المكتبة العصرية – 1425هـ-2004م.

89- المـــــــــــــــــالكي : محمد بن علوي الحسني

مفاهيم يجب أن تصحح لبنان – بيروت – المكتبة العالمية – ط : 1 – 2002م .

90- محـــــــــــــــــــــــــمد البشير الإبراهيمي

الآثار (عيون البصائر)- جمع أحمد طالب الإبراهيمي – لبنان – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ط :1 – 1997م

91- محـــــــــــــــــــــــــمد السيد يوسف

منهج القرآن في إصلاح المجتمع – مصر – القاهرة- دار السلام للطباعة والنشر – ط :2 – 1424هـ-2004 م .

92- محمـــــــــــــــــــــــــــــد إبراهيم شرف

اتجاهات التجديد في تفسير القرآن – مصر- دار السلام – ط: 1 -1429هـ- 2008م .

93- محمـــــــــــــــــــــــــــــــــتد البـــــــــهي

الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي – مصر – القاهرة – مكتبة وهبة – ط: 4 – 1384هـ-1964.

94- محمـــــــــــــــــــــــــد العيد آل خليـــــــــــــــــــفة

ديوان محمد العيد آل خليفة – الجزائر – عين مليلة – دار الهدى – 2010م – دون طبعة .

95- محـــــــــــــــــــــــــمد المجـــــــــــــــــــذوب

علماء ومفكرون عرفتهم – السعودية – الرياض- دار الشواف للنشر والتوزيع – ط :4 :1992 .

96- **محمـــد بن إبراهيم الحمـــــــــــــــد**

تراجم لتسعة من الأعلام – السعودية– الرياض– دار الزلفى – ط :1 – 1427هـ-2006م.

97- **محمـــد بن علي الشوكاني**

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع– مصر– القاهرة – دار السعادة – ط 1 : 1348هـ - 1929م.

98- **محـــمد محفوظ**

تراجم المؤلفين التونسيين – لبنان – بيروت –دار الغرب الإسلامي –ط 1 : 1982 م .

99- **محمـــد بن محمد مخلوف**

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط:1 – 1424هـ-2003م .

100- **محمـــد رجب البيومي**

النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين– سورية – دمشق – دار القلم – ط: 1 - 1415هـ – 1995م .

101- **المودودي: أبو الأعلى ، الندوي: أبو الحسن**

القادياني والقاديانية– سورية – – دمشق – دار ابن كثير – ط : 1 - 1421 هـ - 2000 م .

102- **محي الديـــن الطعمي**

النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر– لبنان – بيروت – دار الجيل – ط:1- 1412هـ- 1992م.

103- محمـــــــــــــــــــــد عبد الله مـــــــــــاضي

الأزهر في اثني عشر عاما - مصر – القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر دون طبعة .

104- محمـــــــــــــــــــــــــــــــد عبد المنعم خفاجي

الأزهر في ألف عام – مصر - القاهرة – مكتبة الكليات الأزهرية- ط: 1 - 1408هـ-1988م

105- محمـــــــــــــــــــــــــــــد مـــــــــــــــــــــواعدة

محمد الخضر حسين حياته وآثاره - تونس- الدار التونسية للنشر - 1974م.

106- محـــــــــــــــــــــــــــــــمود شاكر

التاريخ الإسلامي-لبنان- بيروت - المكتب الإسلامي – ط: 8 - 1421هـ /2000م.

107- مســـــــــــــــــــــــــــــلم بن الحجاج القشيري

صحيح مسلم - ت :محمد فؤاد عبد الباقي - لبنان – بيروت- دار إحياء التراث العربي -1402هـ-1981م .

108- ابن منظور : محمد بن مكرم الإفريقي المصري

لسان العرب – لبنان - بيروت – دار صادر - ط :1- 1374هـ-1955.

109- النـــــــــــــــــــدوي: أبـــــــــــــو الحسن

رجال الفكر والدعوة في الإسلام- سورية - دمشق- دار القلم – ط :2 - 1431هـ-2010م .

110- النـــــــــــــــــــــــــــدوي: أبو الحســـــــــــــــــن

مذكرات سائح في الشرق العربي- لبنان- بيروت-مؤسسة الرسالة - ط: 3: 1978م .

111- النـــــــــــــــــــــــــووي : يحيى بن شرف

تهذيب الأسماء واللغات- لبنان - بيروت – دار الكتب العلمية- دون طبعة .

112- نجم الدين محمد بن أحمد الغزي

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة – لبنان – بيروت - دار الآفاق الجديدة - ط: 2 - 1979

113- أبـــــــــــــــــــــو نعيم الأصفهاني

حلية الأولياء - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية – ط :1 -1409هـ- 1988م .

114- يـــــــــــــــــــــــــــحيى بوعزيز

أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة- لبنان – بيروت - دار الغرب الإسلامي – ط:1 - 1995م .

الدوريات

115- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

الكويت - عدد: 45 – ربيع الأول: 1422هـ-يونيو2001م- بحث بعنوان الإيمان في القرآن الكريم .

116- مجلة المـــــــــــــــوافقات

عدد 5 – جوان 1996.

117- **مجلة الشـــــــــــــــهاب**

ج 8 - مجلد 15- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - 1939م .

118- **مجلة الصـــــــــــــــراط**

عدد 4- السنة 2- 1422هـ-2001م-مبحث لأحمد رحماني بعنوان: دور التفسير الشفهي في الإصلاح

فهرس الموضوعات

الإهـداء

شكر وتقدير

مقدمة ..... أ

مدخل **01**

المبحث الأول: الأصل و النشأة الإجتماعية والعلمية **02**

المطلب الأول : المولدوالأصل **02**

المطلب الثاني: الحياة العلمية و الهجرة إلى المشرق 04

المبحث الثاني : أسفاره والمناصب العلمية **11**

المطلب الأول :مصر وتولي مشيخة الأزهر 11

المطلب الثاني : تلامذته وشهادة العلماء له 15

الفصل الأول: جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح والتفسير **20**

لمبحث الأول : جهود محمد الخضر حسين في الإصلاح 21

المطلب الأول : مفهوم الإصلاح و عصر محمد الخضر حسين 21

أولا – تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا 21

ثانيا – عصر محمد الخضر حسين 22

المطلب الثاني : الإصلاح في العصر الحديث 23

المطلب الثالث : موقع محمد الخضر حسين من هذه التيارات 25

المبحث الثاني : مجالات الإصلاح 31

المطلب الأول : التربية والتعليم 31

المطلب الثاني : التصوف والسلوك 34

تعريف التصوف : لغة 34

تعريف التصوف اصطلاحا 34

المبحث الثالث : جهود محمد الخضر حسين في التفسير 40

المطلب الأول : مدارس التفسير في العصر الحديث 40
أ- مدرسة الإمام محمد عبده و أثرها في التفسير 40
ب – مدرسة الإخوان المسلمين 43
المطلب الثاني : إنتاج محمد الخضر حسين وأسانيده في التفسير 44
أ- إنتاجه في التفسير 44
ب- أسانيده في التفسير 47
ج –أسانيده العامة 49
المطلب الثالث : منابر محمد الخضر حسين في التفسير 51
أ –المجلات والجرائد 51
ب – الدروس المسجلة 54
ج- الرِّحلات 55
الفصل الثاني: منهج محمد الخضر حسين في التفسير 59
المبحث الأول: مصادره في تفسير القرآن 60
المطلب الأول: مصادره من التفسير و علوم القرآن 60
المطلب الثاني : مصادره في الحديث و علومه 63
المطلب الثالث : مصادر محمد الخضر حسين في اللغة 64
المبحث الثاني : إعمال محمد الخضر حسين للتفسير بالمأثور 69
المطلب الأول :تفسير القرآن بالقرآن 70
المطلب الثاني :تفسير القرآن بسنة النبي عليه الصلاة و السلام 77
المطلب الثالث :تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين 80
المبحث الثالث : التفسير بالرأي 85
المطلب الأول: مظهر استعمال اللغة 85
المطلب الثاني: المزج بين المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية 91
المطلب الثالث : مظهر الترجيح بإعمال الرأي والعقل 92

الفصل الثالث :ملامح الإصلاح في تفسير محمد الخضر حسين **96**

المبحث الأول : ملامح الإصلاح في العقيدة وأصول الدين 100

المطلب الأول : معنى العقيدة وأهميتها في إصلاح المجتمع 100

العقيدة لغة 100

العقيدة اصطلاحا..... 101

المطلب الثاني :الإلاهيات (مسائل الألوهية)..... 102

أ – علم الغيب..... 103

ب – الأدب مع الله 105

المطلب الثالث :النُبوات 107

أ – معنى النبوة والرسالة 107

ب –متعلقات النبوة 109

1– ختم النبوة 109

2– الزواج والقرابة 114

3 – المعجزات 117

المبحث الثاني : السياسة والحكم.....121

المطلب الأول : مفهوم السياسة وحقيقتها 121

المطلب الثاني : الشـــورى..... 122

المطلب الثالث :دعوى فصل الدين عن السياسة..... 125

المبحث الثالث : النظام الإجتماعي..... 127

المطلب الأول : : الدعوة إلى الخير و مكانة الدعاة..... 127

1– الدعوة إلى الخير 127

2 – مكانة الدعاة إلى الله 130

المطلب الثاني : الحـدود والعقوبات..... 132

الخاتمة..... **139**

الفهارس العامة 142

فهرس الآيات القرآنية 143

فهرس الأحاديث النبوية 150

فهرس الأبيات الشعرية 151

فهرس الأعلام 152

فهرس المصادر والمراجع 157

فهرس الموضوعات 171

ملخص :

يعتبر محمد الخضر حسين واحدا من أولئك العلماء الذين جمعوا بين ثقافة الماضي والحاضر ويعد تفسيره لآيات القرآن رائدا في بابه حيث تناول فيه صاحبه معاني الآيات وربطها بواقع المسلمين واحتياجاتهم ورد تلك الشبهات التي تهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم ،كما انطلق الشيخ – رحمه الله – من التفسير لمعالجة القضايا العقديه والسياسية والاجتماعية مبينا صلاح وإصلاح القرآن الكريم لكل زمان ومكان وعدم استغناء الأمة عن كتاب ربها أينما كانت وحيثما وجدت .

الكلمات المفتاحية:

محمد الخضر– جامع الزيتونة – شيخ الأزهر – جامعة الأزهر – الإصلاح – السياسة – الحكم – التصوف – نفطة – طولقة –المسجد – التفسير– تونس .

Résumé :

Mohammed El Khidr Housseine est considéré comme l'un des savants qui ont étudié les deux cultures, l'ancienne et la contemporaine. Son exégèse est considérée comme la meilleure. Il entama l'explication des versets coraniques qu'il projeta sur le vécu des musulmans et leurs besoins et rejeta par ,là, les suppositions frauduleuses qui n'ont pour but que la mise en doute des vérités coraniques chez les musulmans . Par cette exégèse ,il a entrepris l'études des problèmes idéologiques, politiques et sociaux ; prouvant par ,là, l' efficacité opératoire en tous lieux et temps et l'indispensabilité de ce livre révélé pour la nation musulmane.

Mots clés :

Mohammed El Khidr - université Zitouna - Maitre conférencier à l'université El Azhar - réforme - politique - pouvoir - Soufisme - Nafta - Tolga - mosquée – exégèse– Tunisie.

Summary:

Mohammed El khidr is considered as one of those scientists who combine between the past culture and modern one .His explanation of the verses of the quran in which he linked between the verses and Muslim's life and needs. He also was against suspicions that make Muslims doubt in their religion and beliefs.

Mohammed El Khidr –may Allah Bless Him –started from the explanation to treat beliefs, political and social issues showing that the quran is a suitable mean and effective way for any place and any time. The Muslim nation couldn't pay no heed to the book of her lord where ever and whenever it was.

Key words :

Mohammed El Khidr- Zaitouna mosque - Chikh El Azhar - El Azhar mosque – reformation- politicians- governance - Naftah - Tolga- mosque -explanation - Tunisia – Soufisme.